
العشق الحلال
د. محمد لبيب

إهداء

إلى كل كلمة تشع أملاً في نفوس الآخرين...

و إلي الباحثين عن العشق الحلال

مقدمة عن المجموعة القصصية

الحب حالة من المشاعر الحالمة التي تتدحرج على أرض الواقع لتعبر عن الثقة بالنفس، فقد نرى الحب في همسة أوبسمة، ضحكة أونظرة أولمسة أومجرد كلمة، الحب حالة صحية تجعل من المُحب فارسًا نبيلاً معطاء لمشاعره لإسعاد الآخر في كل أوقاته سواء أخ أوأخت أوأب أوأم أوابن أوصديق أوحبيب. الحب هو اللبنة التي نبني بها جدران وأسقف علاقتنا الإنسانية لنحتمي به من تقلبات وأعاصير الحياة التي تهب على النفس بقسوتها من حين إلى آخر مهما اختلف المكان والزمان، الحب هو السفينة التي تحمل الأنفس الطيبة وتبحر بها وسط أمواج الحياة لترسوا بالمحبين على شاطئ تكسوه رمال حباتها من راحة البال.

والعشق هو الحب السوبر، هو الحب بلا شروط وبلا أسباب. هو حب المحب في السراء والضراء وفي الحاضر والغيب وفي التصالح والخصام، العشق هو الحالة التي يشرب فيها المحب منقوع الحب بأنفاس الحبيب، والعشق هو أن تكون محبًا أولا تكون، والعشق الحلال هو كل الحب.

أتمنـى أن يجـد قرائـي كل أوبعـض هـذه المعانـي الجميلـة عـن الحب في الكلمات أوبين سطور مجموعتي القصصية هذه والتي كتبتها على مدار عام قاصداً مخاطبة المشاعر الإنسانية التي تمتلئ بها القلوب سواء مجمدة أوفي حالة سائلة.

أتمنى أن يجد القارئ في أحداث هذه المجموعة مشاعره ليخاطبها كلما شاء فهي مجرد محاولة للتحدث إلى المشاعر.

تحياتي

د. محمد لبيب سالم

حبوب الحب

«نفسي .. لا تذهبي بعيدا ... فالعوده بلا عنوان ...»

بعد سيل المكالمات التليفونية التي لم تنقطع طوال اليوم مع الأهل والأصدقاء والزملاء اندهش كيف له أن يحب هؤلاء الناس وهم لا يحبون الآخرين، ويعبرون عن ذلك بكل بساطة بل وبجاحة في معظم الأحيان، كيف له أن يستمر في حبهم هكذا وهم يكرهون من حولهم وفي نفس الوقت يظهرون في كل كلمة معه حبهم وإخلاصهم له.

رويدًا رويدًا اقتنع بنفاقهم في حبه وبدأ يتسلل إلى قلبه موجات سلكية وصوتية وكهرومشاعرية قلبية ومغناطيسية عقلية توحي بكرهه الشديد لهؤلاء المنافقين في حبهم.

وضع راحة يده على صدره يتحسس قلبه ليتأكد أنه مازال يدق هناك بنفس نغماته رغم نفاق الحب لهذه الكائنات الإنسانية. ولكنه وجد قلبه يتخبط في صدره وتسمَّع دقاته فوجدها تهتف بأصوات من كره منادية بالقصاص من كل منافق في حبه، فجأة نهض منتفضًا من على كرسي الأنتريه المفضل له وخرج مسرعًا من الشقة قاصدًا الصيدلية ليشتري

ولأول مـرة حبـوب الحـب التـي سـمع عنهـا كثيـرًا ولكنـه لـم يشـأ أبـدًا أن يُجربهـا.

ومـع سـائل الحـب بعلبـة الحبـوب بلـع ضعـف الجرعـة المقـررة مـرة واحـدة، ومـا أن ابتلـع الحبـوب حتـى تحـول قلبـه إلـى واحـة خضـراء وارفـة يتبختـر فيهـا كل مـن كانـوا معـه علـى التليفـون يلوحـون وهـو يبتسـم لهـم هاشًـا ومرحبًـا، ممسـكًا بإنـاء مـن الحـب يـوزع منـه المشـاعر الطيبـة عليهـم فيأخذونهـا منـه ويلوكونهـا بألسـنتهم قبـل أن يلقونهـا جانبًـا بعـد أن يتركهـم دون أن يراهـم. سـيطرت علـى قلبـه وعقلـه مشـاعر مـن الحـب جعلـت مـن قلبـه وعقلـه وحـدة واحـدة تضـخ الحـب زخـات زخـات.

صعـد سـلالم البيـت وتخطـى عتبـة شـقته وجلـس مـرة أخـرى علـى كرسـيه المفضـل لينتشـي بهـذا الإحسـاس البديـع الـذي لـم يجربـه مـن قبـل وملـك عليـه مشـاعره ولا يريـد أن يخـرج منهـا أبدًا، ولكنـه رويـدًا رويـدًا وجـد دقـات قلبـه تعـاود التظاهـر بأصواتهـا العاليـة طالبـة القصـاص وبقـوة وعلـى الفـور هـذه المـرة وإلا خـرج القلـب مـن صـدره ليسـكن صـدرًا آخـر علـى قائمـة الانتظـار، تعجـب كيـف يحـدث هـذا ولـم تمـر إلا دقائـق مـن ابتلاعـه حبـوب الحـب ذائبـة في سـائل الحـب.

فتـح علبـة الـدواء بسـرعة ليقـرأ النشـرة ليجـد تحـت كلمـة

تحذير: هذا الدواء مصرح به فقط للمنافقين في الحب ولا يستخدم مطلقًا من قبل المحبين بالفطرة تجنبًا للآثار الجانبية التي قد تحولهم إلى منافقين في الحب.

ألقى علبة الحبوب في القمامة وألقى بجسده على الكرسي وألقى بسماعة التليفون أرضًا وألقى ببصره إلى السماء وألقى راحتيه على صدره معتذرًا لقلبه بأنها أول وآخر محاولة لتعاطي حبوب الحب.

●●●

البحث العاطفي

«أيها الحب لا ترحل بعيدا وأبقي بجانبي ، ولا تتزين لغيري فأنا احتاجك لوحدي»

أخذت ليلى مقعدًا على جانب من الكافيه وأخرجت مدونتها وقلمها استعدادًا لكتابة الرواية التي تفكر منذ فترة في عنوان وبداية لها. حاولت أن تخط أولى الكلمات ولكن فشلت محاولات قلمها، فلم تستطع التقاط الكلمات التي تطير ذهابًا وإيابًا في عقلها لتسقطها على صفحات مدونتها.

أمسكت ليلى القلم ووضعت يدها تحت خدها وأطلقت العنان لفكرها صوب السماء لعل منظر الصفاء على امتداد الشاطئ المترامي يسكن الكلمات بعقلها لتستطيع تسطيره في جمل أيًّا كانت رومانسية أودرامية أوحتى فكاهية، فقط هي تحتاج إلى بداية تأخذ بيدها إلى الصفحات البيضاء لمدونتها لتلونها بمداد أفكارها اللانهائية.

وبعد تفكير استجابت ليلى لإلهام أفكارها وكتبت: «أيها الجمال لا ترحل بعيدًا وابقَ بجانبي، ولا تتزين لغيري فأنا أحتاجك لوحدي». ارتاحت ليلى لهذه البداية الرومانسية التي

تناسب مشاعرها الفياضة التي تملأ عليها وجدانها منذ فترة مؤججة الشوق الجامح للعاطفة في نومها وصحيانها.

ولكن من هو صاحب هذا الجمال يا ليلى، أهو؟! أم هي؟! أم أنا؟! أطرقت ليلى لحظة وقررت أن يكون هذا الجمال له هو وحده، هو الذي يسكن بالخيال ولا تعرفه ولم تقابله بعد، هو الذي استحوذ على بنات أفكارها ولكنه سراب ليس له من وجود إلا في ظل مشاعرها.

استمرت ليلى في كتابة القصة فكتبت: «أينما كنت تسكن فسأكون هناك، وكيفما تكون هويتك فأنا أعشقك وسوف أكون لك وحدك، فقط أخبرني أين وجهتك؟ أين مسكنك؟ أخبرني عن كينونتك؟ حينئذ سوف تجدني أمامك وبجانبك وورائك، ستجدني بداخلك أرويك بماء الحب الصافي النابع من أنهار قلبي المتدفقة، فقط أخبرني أين أنت وسوف آتي إليك بكل جوانحي». تنهدت ليلى وتركت مدونتها تنتظر باقي مداد قلمها عن شغف وأطلقت لعينيها العنان حتى السماء تبحث عنه هناك.

قرأت ليلى ما كتبته فتنهدت وابتسمت محدثة نفسها أهذه رواية خيالية أم رواية عن مشاعري الدفينة؟ إنها أنا ليلى التي كتبت هذه الكلمات وليست أنامل ليلى الروائية، أنا التي أبحث

عـن الحـب في الواقـع فتركـت العالـم حولـي وأتيـت إلـى سـاحة صفحاتـي أبحـث عـن حـب يروينـي وعندمـا وجـدت الصفحـات بيضـاء بـلا مـداد سـطرت مشـاعري وأفرغتهـا مـن جـوف قلبـي في كلمـات أبحـث فيهـا عـن المفقـود منـي.

إنهـا طريقـة جديـدة في البحـث العاطفـي، ويـا لهـا مـن طريقـة تغـازل العقـل وتفجـر طاقـات الحـب ليكتشـف القلـب في النهايـة أنـه مجـرد كلمـات علـى الصفحـات، يضـخ مشـاعره في خيـال يضـيء وينطفـئ ضيـاؤه كلمـا فتحـت أوأغلقـت صفحـات المدونـة.

ومـا إن بـدأت ليلـى تتقمـص شـخصيتها كبطلـة الروايـة حتـى ارتعشـت يدهـا وترنحـت مشـاعرها فانسـكب كـوب القهـوة التـي كانـت تتأملـه وترتشـفه وهـي تبحـث في نفسـها عـن أحلـى مـا تتمنـاه في قطـار المشـاعر الـذي لا يقـف إلا في محطـات الحيـاة التـي لا تعلمهـا.

نهضـت ليلـى وجـرت إلـى الداخـل لتنظـف رداءهـا مـن القهـوة وعـادت لتجـر أفكارهـا وراءهـا وتلـك التـي انسـكبت علـى ردائهـا مـع القهـوة، جمعـت أشـلاء أفكارهـا مـرة أخـرى وبـدأت تتعافـى مـن تشـتت بوصلـة مشـاعرها وخطـت جملـة جديـدة: «الحـب حالـة مـن المشـاعر اللامرئيـة اللانهائيـة والتـي تعكسـها القلـوب علـى مـا

في العيون، ولكن غير معلوم متى تشع المشاعر لصاحبه، فهل هناك من يستطيع إشعال شعلة المشاعر». قرأت ليلى الكلمات ولم تستوعب ماذا أرادت أن تقول؟! فهي تبحث عن حالة حب طاغية على منضدة في كافيتيريا من خلال صفحات بيضاء، فأين لها من مصدر الحب إن أرادته حيًّا أمامها؟؟

فوجئت ليلى بالنادل يضع أمامها كوبًا أخر من القهوة لم تطلبه، ولما تأكدت أنه لها سألته لم أطلبه فمن طلبه؟ أشار النادل إلى رجل بالركن الأخر من الكافيه يجلس متأهبًا، وما إن رآها تنظر تجاهه حتى أقبل مبتسمًا يضع تحياته وابتسامته بين يديها لتقبلها.

شكرته ليلى وسألته لماذا طلبت لي القهوة؟ ازدادت ابتسامته وطلب الجلوس وعيناه تسبقانه فسمحت وطلبت التفسير ففسر، أنا مراد وأعشق القراءة خاصة الروايات وكنت أنظر إليك وأنت تكتبين على صفحات مدونتك وأراقب انعكاسات الحيرة على وجهك وارتعاش القلم بين أناملك وتولد الكلمات من قلمك لأرى في النهاية ابتسامتك بعد أن تسكبي كلماتك على مدونتك.

رأيت كل ذلك وكنت سعيدًا ومنتشيًا بتلك التعبيرات الحية حتى أفسدها عليَّ وقوع كوب القهوة، ولما هممت أن أساعدك

وقعت عيني على كلماتك فذابت مشاعري، وظننت أنها لي أنا وليس لبطل روايتك وأن الكلمات منك أنتِ وليس كراوية لأبطال روايتك، ولذلك أدركت لماذا وقع فنجان القهوة؟

حسنًا ظننت ونعم صدقت، أنا ليلى روائية مبتدئة، فهل لي أن أتعرف عليك يا صاحب اللحظة، ابتسم مراد ورد منتشيًا وأنا مراد عبد العزيز الروائي صاحب اللحظة وصاحب سلسلة قصص «الحب المفقود».

لم تصدق ليلى بساطة اللحظة فقد كانت تبحث عنه منذ شهور فهو الروائي المعروف لتحظى بمقابلته وتعرض عليه أعمالها، وكم من مرة جاءت إلى الكافيه تنتظر مجيئه كلما أخبرها الناس ولكنه أبدًا لم يأتِ، والآن أتى وصنع من اللحظة الفصل الأول من رواية كانت تبحث فيها عن بطل وبطلة، نظرت ليلى إليه مبتسمة، كنت أبحث عنك ولم أجدك والآن أنت وجدتني بين مقدمة روايتي.

يا ليلى قد هزتني بداية روايتك وجعلت مشاعري المضطربة تغني ألحانًا لم أعرفها، فقد كنت أبحث عن تلك الكلمات المبعثرة وكأنها تولدت من جوف مشاعري المبعثرة على جدران قلبي، وجدت في كلماتك كل المعاني التي سكنتني ولم

أستطع تسطيرها وكأنها التصقت بعقلي إلى الأبد، ابتسمت ليلى في داخلها ولملمت أوراقها وأقلامها لتفسح المكان لرواية حية تنتقل أحداثها من الصفحات إلى الشفاة والعيون لتخرج الكلمات راقصة من القلب إلى القلب بعيدًا عن خيال الروايات لتصنع لحظة تنوب عن كل اللحظات.

طلبت ليلى النادل ليأتي بفنجان قهوة لمراد الذي بدا منتشيًا ومستعدًا لحوار هو متعطش له فشكرها وهو يحدث نفسه أن لحظة صدق وجدانية دائمًا ما تأتي دون أن ننتظرها ولكن علينا أن نصنعها إن وجدنا مفرداتها، فالباحث عن العاطفة كالباحث عن حرف في مكتبة الحب، قرأت ليلى الكلمات في عينيه وبدأت حوار اللحظة التي لا تنتهي.

●●●

حديث الأرض

«كيف يُثبت للعالم أنه لا يريد من متاع الدنيا سوي لحظة صفاء يري فيها نفسه قبل أن يَلفهُا النسيان وترحل»

قال: أحببتك حبًّا جعلني أتنفس هواءك، وقدمي تقبل أديمك، وروحي لا تريد فراقك. قالت: هكذا أنا كل من ذاق ينابيعي.

قال: أنتِ ساحة لشمسي وقمري ونور عيوني. قالت: ومن أنت في الناس؟

قال: أنا مجرد إحساس. قالت: أحبني كما تريد فأنت مغادري. قال: ومتى الرحيل؟ قالت: لأجل معلوم. قال: إلى اللقاء. قالت: نَفَدَ اللقاء.

أفاق من حلمه ليجد نفسه يتحدث إلى أرض حجرة نومه وهو ملقى على ظهره من إغماءة بسبب هبوط حاد في ضغط مشاعره الإنسانية.

●●●

حب في منتصف الليل

«ضحك و ضحكت ، وحمل الشنطة علي إحدي كتفيه وحملها علي الكتف الآخر كطفلته التي لم يلدها بعد»

أغلقت هناء الباب وراءها بشدة دون أن تنظر إليه وتركته ووراءه الأولاد الثلاثة في منتصف الليل بعد أن فشلت جميع محاولاته أن يثنيها عن قرارها الذي اتخذته بعد هذا العراك الليلي من اختلافهما على حق الانتفاع بوقت الفراغ لكل منهما، ورغم رفضها القاطع، إلا إنه لم يشأ أن يتركها تغادر البيت بمفردها في هذا الوقت المتأخر وأصر أن يصطحبها إلى منزل أختها المتزوجة حديثًا وليس بيت الأسرة والهدوء القاتل فأختها تمثل لها كل الحياة بعد فراق أبويها منذ ثلاث سنوات.

لماذا تصر أن تأتي معي؟ أتشكك في أمري؟ ألا تدري أنني وحيدة في هذا العالم إلا من أختي؟! أتريد أن تتدخل في كل شيء في حياتي بصفتك الوظيفية كزوج وأب؟ ألا يكفي أنك أيضًا قمت بتجهيز شنطة ملابسي هذه؟ وكأنك تساعدني عمليًّا على الخروج من حياتك.

وما إن سمع منها هذه الكلمات حتى بدأ المحاولات مرة

أخرى لتبقى معه ظنًّا منه أنها تعطيه خيط الصلح ليبدأ، ولكنها أبت، ولكنه ذهب معها وترك الأولاد مع أختهم الكبيرة صاحبة الخمسة عشر عامًا هي بالكاد عمر زواجه بهناء. حمل الحقيبة على كتفيه لثقلها وهبط درجات السلم لتعطل المصعد كالعادة.

وبعد حوالي النصف ساعة من قيادة سيارته في شوارع المدينة النائمة وفي ظل صمت مطبق بينهما، وصلا بيت أختها بعد أن قضيا ما يقرب من نصف ساعة أخرى على الباب لتفتح لهما، وأخيرًا فتحت الأخت التي هشت لأختها ودخل معها حتى وضع شنطتها هناك في ركن الغرفة بعيدًا عن الدولاب إيماءً منه ألا تفتحها لعلها تغير من رأيها، تركهما وانتظر في سيارته ممنيًّا نفسه برجوعها ولكنها أطفأت الأنوار في حجرتها، فأدار محرك السيارة وعينيه عالقة بشباكها.

والغضب مازال يتملكها نست إيماءته الودودة أوتناستها بأن يترك الشنطة مكانها، فتحتها باحثة عن شيء ترتديه قبل النوم، فوجئت هناء بملابس محمود في الشنطة، فأخذت تلقيها بجنون على كل جانب وهي تبحث عن أي من ملابسها ولكن بلا جدوى حتى لامست أصابعها قاع الشنطة لتجد ورقة بيضاء كبيرة مكتوب عليها «عودي إليَّ هناء، فأنتِ حبي». ودون أن

تـدري تدفـق دم الانبسـاط ﴿ وجهها ليطـرد دم الغضـب الجامـح وحلت بسـمة الـود علـى شـفتيها لتطـرد ذمـة الغضـب، وفجـأة عـاد وجهها إلـى ملامحـه الملائكيـة.

وهـو مـا زال يمنـي نفسـه علـى أنغـام محـرك سـيارته، فوجـئ محمـود بهنـاء تفتـح شـباك غرفتهـا علـى مصراعيه وصوتها يخترق صمـت الليـل منادية عليـه بعلـو صوتهـا، ارجـع يـا محمـود، انتظـر، ماتمشـيش، أطفأ محمـود محـرك السـيارة وجـرى إليهـا مسـرعًا وامتطـى درجـات السـلم سـعيدًا ومنتشـيًا ليجدهـا تنتظـره عنـد البـاب وفي يدهـا شـنطة ملابسـها، أهـلاً بجميلتـي هنـاء، ارتمـت هنـاء في صـدره وعينيهـا تنـام في عينيه، محمـود، افتقدتـك قبـل أن تتركنـي. والابتسـامة ملئ شـفتيه، لـم أتـركك حبيبتـي، فكنـت هنـاك في انتظـارك كالعـادة.

ضحـك وضحكـت، وحمـل الشـنطة علـى إحـدى كتفيـه وحملها علـى الكتـف الآخـر كطفلتـه التـي لـم يلدهـا بعـد.

●●●

العشق الحلال

«لا يستطيع الإنسان كتمان الأسرار ابداخله إلي الأبد وإلا قتله السر بسكين الهموم»

تكالبت المشاكل على رأس فكري وأظلمت الدنيا في وجهه بعد أن ضحكت له أعوامًا طويلة قبل أن يفارق والده الحياة تاركًا له ذكريات الأبوة الحنونة الدافئة المثقلة بكم من الديون كان يعتقد أنها حسابات بنكية سوف تجعله لا يحتاج حتى لمرتب وظيفته في شركة الأدوية التي عمل بها فقط لزوم الاجتماعيات بعد تخرجه من كلية الصيدلة كما كان يتمنى له والده فهو الابن الوحيد.

تزوج فكري ابنة أحد أصدقاء والده الذي زوجه إياها دون أن يعلم أن قلب فكري كان معلقًا بزميلة الدراسة. أسر فكري مفاجأة خبر الديون وحبسها عن أسرته وأصدقائه وحاول بكل الطرق أن يجد حلاً لسداد هذه الديون ولكنه لم يجد أي باب يطرقه، تغير فكري دون أن يدري بعد علمه بخبر الديون ولكنه لم يغير أبدًا شعوره تجاه والده الذي رحل لأنه على يقين أن كل هذه الديون كانت للإنفاق عليه حتى ولو كانت أشياء ليس

لهـا ضـرورة مثـل شـراء سـيارة خاصـة لفكـري أوالشـقة التمليـك الفارهـة التـي يعيـش فيهـا الآن مـع زوجتـه وأولاده.

مـارس فكـري حياتـه العمليـة والزوجيـة وكأنـه موظـف يعمـل في مجلس المدينـة يقـوم بالإمضـاء صباحًـا قبـل خروجـه مـن البيـت بقبلـة يطبعهـا علـى شـفتي زوجتـه ونفـس الحـال عنـد عودتـه حتـى تحولـت القبلـة إلـى عـادة حركيـة لا يسـتطيع التخلـي عنهـا جسـديًا حتـى ولـو لـم تلبـي حاجتـه أوتثيـر شـهوته، أدمـن القبلـة كالنيوكتـين في السـيجارة التـي لـم يجربهـا طـوال حياتـه.

ومـا بـين الخـروج مـن البيـت والعـودة يقضـي عملـه في شـركة الأدويـة وكأنهـا عـادة تـدرب عليهـا ينفذهـا ولا يعشـقها ولا ينفـر منهـا فـلا تـكاد تأتـي سـاعة المغـادرة حتـى يحمـل شـنطته التـي بهـا كمـا هـي دون أن يفتحهـا إلا لأخـذ الساندوتشـات التـي تعدهـا لـه زوجتـه حسـناء كل صبـاح راجيـة إيـاه وهـي تـرد قبلتـه الصباحيـة ألا ينسـى أن يتناولهـا أثنـاء الغـداء.

بعـد أن يطبـع فكـري قبلـة العـودة متبوعـة بابتسـامة تلقيهـا شـفتاه كطـوق نجـاة علـى شـفاه زوجتـه التـي يحـب جمالهـا وطيبتهـا وإخلاصهـا والتـي مـازال يبحـث في كل هـذا الجمـال عـن العشـق منـذ أن تزوجـا مـن أربعـة أعـوام، يتجـه فكـري إلـى غرفتـه ليغيـر

ملابسـه ليخـرج إلـى غرفـة المعيشـة ليجـد زوجتـه حسـناء وقـد أعـدت الغـداء علـى السـفرة قبـل وصـول الأولاد مـن المدرسـة بدقائـق محملـين بضحـكات العالـم وأمنياتـه البريئـة المرسـومة منهـا علـى شـفاههم والمنطلقـة علـى ألسـنتهم أوالمخبـأة في قلوبهـم وعقولهـم أوفي حقائـب المدرسـة التـي تمثـل لهـم مكتبـة متنقلـة.

يهـرع الأولاد إلـى أحضـان بابـا ثـم تأتـي مامـا لتلقـي بعـض الأوامـر التـي حفظهـا الأولاد فيجـرون إلـى حجرتهـم مقهقهـين قبـل أن تنهـي الأوامـر لتغييـر زي المدرسـة ثـم إلـى غسـل الأيـدي ثـم إلـى طاولـة السـفرة لتنـاول الغـداء السـاخن مـع الأب والأم لتنطلـق التعليقـات علـى أحـداث اليـوم في المدرسـة علـى أصـوات الملاعـق والشـوك والشـفاه المتشـوقة لأكلات مامـا ولحديـث بابـا القصيـر قبـل أن يدخـل حجرتـه ليأخـذ قسـطًا مـن الراحـة ليخـرج بعدهـا ليقضـي وقتـه حتـى نصـف الليـل مـع زملائـه في كافتبريـا الأصدقـاء.

كل مـن يـرى هـذا البرنامـج اليومـي لفكـري يغبطـه وأحيانًـا يحسـده علـى زوجتـه الحسـناء اسـمًا علـى مسـمى وأولاده رحيـق وريحانـة اللـذان يمـلآن البيـت مرحًـا وطفولـة وبـراءة الحيـاة تتدحـرج منهمـا في أركان البيـت دون تعمـد كأنهمـا خلقـا مـن رحـم أزهـار الياسـمين والبنفسـج وولـدا أثنـاء إشـراقة يـوم مـن أيـام الربيـع.

وهنـاك مـن يغبـط فكري علـى عملـه في شـركة الأدويـة خاصـة أن هنـاك العديـد مـن أصدقائـه مـن فقـد الأمـل في إيجـاد عمـل مناسـب وبالتالـي في الـزواج والاسـتقرار العائلـي وسـط أسـرة مثل أسـرته التـي ينعـم في دفئهـا كل مسـاء عنـد عودتـه مـن كافتيريـا الأصدقـاء وكل صبـاح عندمـا تودعـه زوجتـه حتـى بـاب الشـقة ومـا بينهمـا مـن برنامـج يومـي هـادئ لا يهـز هـدوءه سـوى صخـب الأولاد الـذي يتمنـى العديـد مـن الأصدقـاء أن يكـون لهـم نصيـب في مثلـه ولـو بعـد حـين مـن الدهـر.

كعـادة البشـر، نسـي فكـري كل هـذه النعـم وعـاش في وحـل الديـون بمفـرده فأصبـح أكتـع التفكيـر يلـزم الصمـت فشـحب وجهـه وعبثًـا حاولـت حسـناء أن تفهـم وتسـاعد ولكـن بقـي فكـري حبيـس الفكـر والتفكيـر، جـلال هـو الوحيـد الـذي يعلـم بسـر الديـون فهـو الصديـق والأخ الـذي يثـق فيـه فكـري وفي تفكيـره، أخبـره فكـري بحالـه ليقاسـمه الفكـر لأن الإنسـان لا يسـتطيع كتمـان الأسـرار التـي بداخلـه إلـى الأبـد وإلا قتلـه السـر بسـكين الهمـوم.

أيـن أنـت ذاهـب يـا فكـري أنسـيت أن اليـوم هـو الجمعـة، يـوم الأسـرة الـذي نخـرج فيـه سـويًّا خاصـة مـع الأولاد، أعلـم يـا حسـناء ولكنـي جالـت لخاطـري فكـرة أريـد أن أجربهـا وأرجـو أن تتقبلـي اعتـذاري اليـوم عـن الخـروج معكـم كالمعتـاد، ومـا هـذه الفكـرة يـا

فكـري؟! لعلهـا تكـون مناسـبة للأسـرة كلهـا، هـي فعـلاً مناسـبة ولكنـي أريـد أن أجربهـا بمفـردي قبـل أن نجربهـا جميعًـا، كمـا يحلو لـك يـا زوجـي الحبيـب وسـوف أنتظـرك علـى أحـر مـن الجمـر أنـا والأولاد حتـى تعـود لتقص لنـا هـذه الفكـرة الجديـدة، وكلـي ثقـه فيـك.

ارتـدى فكـري الملابـس الرياضيـة والـكاب ونظـارة الشـمس ولـم يحمـل معـه سـوى تليفونـه فبـدا مختلفًـا لزوجتـه حسـناء التـي بـدت عليهـا نظـرات الإعجـاب الشـديد فترجمتـه في مزيـد مـن القبـلات فانتـاب فكـري خجـلاً ممزوجًـا بقشـعريرة مـن جـراء تلـك القبـلات التـي تلـذذ بهـا واسـتغرب نفسـه فيهـا. ابتسـم فكـري ابتسـامة كلهـا رضـا وطبـع قبلتـه وأتبعهـا بحضنـه كالعـادة وحسـناء تنظـر إليـه كأنـه طفلهـا المدلـل، لـوح لهـا مودعًـا وهـي تركـن إلـى البـاب ناظـرة إليـه حتـى تـوارى عـن الحجـاب.

اليـوم مشـرق رائـع والسـماء صافيـة إلا مـن بعـض التجمعـات البيضـاء التـي تبـدو كسـحاب علـى اسـتحياء فتبـدو السـماء أجمـل، إنـه بالفعـل ليـوم الرحـلات والانطـلاق مـن عالـم الهمـوم الروتينيـة إلـى الرحـاب الشاسـعة والطبيعـة الخلابـة، أدار فكـري محـرك السـيارة التـي يتعامـل معهـا كريحانـة ورحيـق- فهـي هديـة مـن والـده في الحفـل الكبيـر الـذي احتفـل فيـه وسـط الأهـل والأقـارب

والأصدقاء بعد تخرجه من الكلية. فتح زجاج الشباك واستنشق الهواء وضغط على البنزين ببطن قدمه وكأنه يغازله فانطلقت السيارة كذكر حمام يطير فوق الأرض باحثًا عن أنثاه.

كان هذا أول انطباع ران لفكري في بداية البرنامج الذي وضعه اليوم لنفسه للتنقل على جانب النهر القريب من أطراف مدينته التي لا تبعد كثيرًا من أعلى قمة في الجبل الذي يطلق عليه جبل الحياة.

يبعد النهر عن مسكن فكري قرابة أربعين دقيقة بالسيارة فكانت فرصة له ليتخلص من كل همومه وأفكاره التي تركها معبأة داخل جيوب ملابسه وحقيبته في البيت دون أن تعلم بها حسناء أورحيق أوريحانة، ترك فكري لنفسه الانطلاق من ذاته الضيقة في القيل والقال وفي الديون والديانة وفي الشركة والعملاء، تركها تنطلق إلى العالم الأوسع الذي تصغر فيه الأشياء مهما عظمت، عالم الطبيعة الصافية والراقية ليتفكر ويتدبر فيها وينتعش بما يرى ويسعد بالأشياء ذاتها وليس بمسمياتها، ويرتقي بنفسه من منزلة فكري إلى منزلة الأفكار.

وما إن بدت الطبيعة قادمة إليه وحاضنة ما حواليه مترامية الأطراف على مرمى البصر شعر فكري وهو يقود السيارة أنه

الأعلى مرتبة الآن من كل ما حوله من كائنات، هو الإنسان وباقي المخلوقات تبعًا له، ابتسمت شفتيه بثقة عالية وكأنه يرى نفسه في المرآة، فهو ابن الطبيعة، شعر وكأنه إنسان أخر كان متقوقعًا على نفسه في قفص الحياة ثم جاءت الطبيعة فشدت رجليه وسواعده وصدره وكل جسده في كل الاتجاهات لتتمدد فيه روحه وتتسع وتنتشي بالحياة.

ابتسم فكري وهو يحدث نفسه أشكرك صديقي جلال فأنت الذي نصحتني ببرنامج اليوم لعله يوم التغيير الذي ينشده كل جسد وتنتظره كل روح حتى تبعث من جديد، فعلاً يا جلال أنت عالم ماهر في الطبيعة ولكنك أيضًا عالم نفسي كبير، أدين لك يا صديقي بما يحدث لي الآن من تغيرات نفسية مريحة للقلب والعقل والبدن، الآن أدركت يا جلال لماذا كنت تقول لي أن لفظ الراحة أتى من الروح، لأن الروح هي مبعث الراحة، وأنا أضيف يا جلال أن الراحة في الطبيعة، شكرًا لك يا صديقي على وصفتك السحرية التي بدأ يظهر مفعولها في أول فقرات البرنامج الذي وصفته إياي.

اقترب وقت الظهيرة وتوسطت الشمس السماء فارشة أجنحة أشعتها في كل اتجاه كأنها الطاووس ينظر للكون من

أعلـى مبتسـمًا فهـي رمـز العطـاء الـذي لا يحتـرق، تمنـح أشـعتها نهـارًا وتمسـكها ليـلاً حتـى لا يحتـرق الوجـود. نعـم، يجـب أن نكـون كالشـمس في العطـاء، كيـف كان لـي أن أرى هـذا العطـاء بـلا حـدود وأنـا هنـاك قابـع في الحجـرات والنـوادي المغلقـة، حقًـا يـا جـلال يجـب التحـرر مـن كمائـن الحيـاة بـين الحـين والآخـر لتتحـرر أنفسـنا كمـا يتحـرر الطيـر مـن قفـص صاحبـه، كيـف نتدبـر قـدرة اللّه في خلقـه ونحـن بـين الخلـق عُبّادٌ لحاجتهـم وحاجتنـا. صحيـح أن اللّه أوصانـا أن نبصـر قـدرة خلقـه في أنفسـنا حينمـا قـال: «وفي أنفسـكم أفـلا تبصـرون» ولكـن مـن يبصـر نفسـه ومـن ينظـر منـا إلـى نفسـه، كلنـا ينظـر إلـى غيـره وإذا نظـر إلـى نفسـه ينظـر فقـط إلـى حاجتهـا ولا يتدبـر خلقهـا إلا وهـي مريضـة. نعـم، خلـق الإنسـان جهـولاً وعليـه أن يتعلـم مـن نفسـه والآخريـن والتعلـم الأكبـر مـن الطبيعـة، وهـا أنـا وسـط الطبيعـة.

الآن كفـى قيـادة للسـيارة ولابـد مـن قيـادة قدمـاي. أوقـف فكـري السـيارة فقـد وجـد الوقـت والمكان مناسـبًا لكـي يبـدأ برنامـج اليـوم الـذي وصفـه جـلال، تـرك فكـري قدميـه تتبختـر بـين السـهول والهضـاب الخضـراء، يرتفـع ويهبـط ولا أحـد هنـاك إلا مـن راعـي غنـم أوخيمـة هنـا أوهنـاك للأعـراب الذيـن أخـذوا مـن الطبيعـة سـكنًا ومـأوى لهـم.

لم يصدق فكري مدى الانشراح الذي حدث لقلبه والاتساع الذي حدث لروحه والراحة التي تمكنت من جسده، آه لكم وددت أن أكون أعرابيًا لكم أغبطكم أيها الأعراب. لاحظ فكري جمع من الماعز آتية من هناك وخلفها الراعي وعصاه على منكبيه وراء ظهره يقبضهما بيديه وصوته الحلو يغني كما لم يغنِّ أحد من قبل والفضاء يرد عليه في كورال رائع بصدى صوته البديع، تعجب فكري لماذا لا يأتي المنتجون والمخرجون هنا ليكتشفوا هذه الأصوات التي تغني للحياة بدلاً من ضجيج الحناجر البالية في الصالات المغلقة.

لوح فكري بيديه للراعي والذي أرسل له ابتسامة طارت في الهواء مع أنغام صوته فجعلت فيه بحة زادت من جمال شدوه، ولم يسر فكري كثيرًا حتى وجد قدميه تقف على طرف لوحة من الطبيعة تمتد أمام عينيه ملآنة بالنباتات والأشجار والماء والأزهار والطيور وكأنها لوحة فنية عكف على رسمها خيال كل المبدعين ثم بعثت فيها الحياة، إذًا إنه هنا، المكان الذي كنت أبحث عنه في مخيلتي كما وصفه لي جلال دون أن يراه.

الأغصان تتدلى من الأشجار العالية لتلامس الأرض حتى بدت الأغصان جزوعًا وجذورًا تعانق الأرض وتغازلها وتلامسها

تلامس أكتاف الصبايا، المياه تتدحرج وتنساب إلى شاطئ النهر لتقبل الأحجار والرمال في كسوف ثم تعود إلى النهر مرة أخرى لتترك لموجات أخرى من المياه الفرصة لعناق وتقبيل الشاطئ، تغار الطيور من هذا العناق فتحط بدلال على سطح الماء باسطة جناحيها لاحتضان الماء كما احتضنه الشاطئ في رومانسية بديعة، ويهب نسيم عليل ليداعب سطح الماء الذي يبتسم له ويرد المداعبة بدوائر مائية لطيفة تبدو لفكري كابتسامات وضحكات كونية، وكما تُقَبِل مياه النهر رمال الشاطئ ويُقَبِل الطير مياه النهر وتُقَبِل الأغصان سطح الأرض فإن كل ما حوله من مخلوقات تُقَبِل ما حولها فتُقَبِّل على الحياة.

آه يا فكري إنه إبداع الخالق، الآن أدركت قيمة القُبْلة التي تحققنها في شفتاي حسناء وأدركت كم تنتشي هي بمجرد طباعة قبلتي على شفتيها، نعم القبلات هي الفواصل التي تلتقي وتتلامس عندها الأرواح، هي الشعيرات الجسدية لملتقى الأرواح. آه يا حسناء، سوف أحقن في شفتيك اليوم قبلات وقبلات ولن أكتفي بمجرد طباعتها، لعل روحي تلامس أطراف روحك عند شفتاي فيتحول الحب إلى عشق وتتحول العادات إلى احتياجات فتنصهر قوالب الحب وتصير أنهارًا من العشق فتعلو أمواجه فتسير مركبة الحياة بلا مجاديف تنهك الركبان.

مشـى فكـري بعيـدًا قليـلاً عـن المـاء مسـتطلعًا مسـتنقع الطـين حواليـه فوجـد كائنـات لـم يرهـا مـن قبـل كل كائـن مشـغول حـول قدميـه بحالـه، فتلك دودة الأرض منهمكة في حفـر نفق في التـراب لنفسـها فتعجـب كيـف لهـا أن تفعـل ذلـك بمفردهـا وهـي لا تعلـم أنـه لا توجـد ديـدان أخـرى مـن جنسـها تنظـر إليهـا أوتسـاعدها، وكيـف لهـا أن ترضـى بهـذا النفـق الطينـي والـذي إن دخلتـه برأسـها فهـو بالـكاد علـى قـدر جسـدها، إنـه كالقبـر المظلـم لجسـد حـي قـرر دفـن نفسـه بمفـرده في ظلمـات بعيـدًا عـن كل مـا حولـه مـا عـدا الطـين.

وكمـا رأى فكـري الـدودة تحفـر لنفسـها الخنـدق لتأخـذ منـه مـأوى وسـكنًا، رأى أيضًـا كيـف يحـط العصفـور مـن الفضـاء قاصدًا عـش فرخـه الصغيـر ليضـع في فمـه حبـات صغيـرات لا تزيـد عـن بضعـة جرامـات، فينتشـي الفـرخ ويصوصـو مـن الفـرح بقـدوم الغـذاء وحامـل الغـذاء. لكـم أدركـت الآن كـم يفـرح رحيـق وريحانـة بقدومـي وعودتـي إلـى البيـت خاصـة وأنـا أحمـل لهمـا الحلـوى، إنهـا الفطـرة التـي خلـق اللّه الكائنـات عليهـا، لسـوف أعـود اليـوم لكمـا ويـداي محملـة بالحلـوى ولكنـي سـوف أقضمهـا معكمـا تمامًـا كمـا يفعـل هـذا العصفـور مـع أولاده.

نظـر بجانبـه علـى صـوت وكأنـه منشـار نجـار محتـرف فوجـد حشـرة صغيـرة تسـتخدم جـزءًا مـن جسـدها كمنشـار حـاد تقطـع بـه لحـاء الشـجرة فيتسـاقط تحـت أرجلهـا فتلتقطـه بنشـوة وسـرعة عجيبـة ثـم تعـاود النشـر وهكـذا دون توقـف، فأخـذ يتأملهـا وهـو مشـدود بفعلهـا هامسًـا في نفسـه، لمـاذا لا تسـتمر في النشـر حتـى تحصـل علـى الكـم المطلـوب لهـا مـن اللحـاء ثـم تبـدأ في الأكل ليكـون أكثـر اسـتمتاعًا عـن تكـرار النشـر والأكل.

تعجـب فكـري مـن نفسـه واسـتصغر فكـره بجانـب فكرهـا، فهـي لا تريـد أن تنشـر مـا يزيـد عـن الحاجـة فهـي تنشـر ثـم تـأكل حتـى إذا امتـلأت بطنهـا توقفـت عـن النشـر وبذلـك تحافـظ علـى منشـارها ومجهودهـا ووقتهـا وعلـى اللحـاء، ثـم إنهـا لا تتمتـع بالأمـان والسـكن وهـي تنشـر فقـد تفاجـأ بـمن يدوسـها أومـن يقطـع الشـجرة بالكامـل، لذلـك فالأولـى لهـا أن تـأكل جـزءًا جـزءًا، ثـم إن الأكل المتقطـع أكثـر صحـة مـن الأكل المتواصـل، فهـي تـأكل ثـم تنشـر فيسـهل هضـم وامتصـاص مـا أكلتـه فتبقـى رشـيقة علـى الـدوام عكـس كثيـر مـن النـاس الـذي يـأكل مـا عـداه دون أن يتحـرك مـن مكانـه فيصـاب بالتخمـة.

يـا لـه مـن عالـم عجيـب حقًـا، إنهـا المدرسـة بـل جامعـة الحيـاة

هنا في هذا المكان النائي فلا هذه الحيوانات تعرف عنَّا شيئًا ولا هي تبالي إن عرفنا نحن عنها شيئًا، هي تعمل بجد واجتهاد دون رياء أوتظاهر، إنها حقًا الحياة، الآن أدركت لماذا أطلق الله على الدار الآخرة الحيوان، لماذا لا أكون مثل هذه الحشرات، أعمل بجد وأوفر ليوم آت.

ما كاد فكري يتأمل سلوك حيوان ما سواء في الأكل أواللعب أوالتعامل مع أفراد جنسه وخاصة عائلته إلا ويجد نفسه مشدودًا لكائن آخر وبنفس درجة الحماس حتى اكتسب حصيلة من المعلومات عن حياة الحيوان حقنت فيه شعورًا جديدًا بالحياة، شعور بأنه الأعلى رتبة والأقل إبداعًا وعملاً وحنانًا.

عندما بدأت الشمس في المغيب وجد نفسه وحيدًا وكل كائن أخذ طريقه إلى مسكنه فقرر أن يعود إلى أسرته قبل أن يصبح أسير الظلام وأشفق على هذه الكائنات الأقل رتبة التي تعمل ولا تكل فقط لتأكل وتتكاثر إن استطاعت فليس لديها أي وسائل أخرى لمتع الحياة كما لديه هو وأولاده وأصحابه من بني الإنسان.

هب فكري واقفًا هامسًا في نفسه الآن أدركت لماذا يغبطني الناس على أسرتي وعلى وظيفتي وعلى بسمتي. هنا

تعلمت كيف يكون العشق وأين يتبختر وأين ينام، إنه هناك في قبلات وأحضان زوجتي التي اشتقت إليها وكم أنا مشتاق. وهنا تعلمت أن أبدع وأذلل الصعوبات وكيف تسدد المديونات؟! هنا تعلمت كيف أكون زوجًا وأبًا حقيقيًا بعيدًا عن جلد الذات، كم أنا مشتاق إلى العودة إلى بيتي، وكم أنا مشتاق للعودة للتأمل هنا مع أسرتي، شكرًا يا جلال فلقد أدركت معنى العشق الحلال.

●●●

حديث الحقول

«كانت اللحظة شاهقة بعلو السماء ، ابتسمت الشفاة وتعانقت الايادي وتحدثت العيون ولانت القلوب واستجابت لمفاتيح الحياة»

تسللت صفية وراء أكوام القش لعلها ترقب محمود الذي يقضي معظم ساعات النهار في الحقل يحرث ويخط وينثر البذور في الخطوط السمراء التي تعكس لون بشرته، وعيناه تملآن السماء بلمعانها وشفتاه تدندن بأغنيات لا يعلمها إلا من يعمل ويكد تحت وطأة شمس نهار الصيف الملتهب.

تقف صفية وراء عيدان القش مستمتعة بصوت محمود الذي امتزجت فيه أنغام كل الآلات الموسيقية على أوتار أحباله الصوتية، تمايلت صفية على تمايل صوته حتى كادت أن تلامس الأرض من حنان نغماته التي تعلو لعنان السماء محلقة بها مكنون مشاعره لترقص في هواء الصباح ثم يهبط بها رويداً رويداً وكأنه يسحب مشاعره إلى حجرات قلبه الأخضر كخضرة الزرع الذي يبدو وكأنه يتبناه ويرعاه رعاية الأب للأبناء.

لـم تـدرِ صفيـة مـاذا تفعـل وهـي ترقـب محمـود يلقـي نبتـة الحيـاة في أرض مشـتاقة إلـى بـذرة ومـاء لتحيـا، وهـي نفسـها في أمـس الحاجـة إلـى مـن يلقـي تلـك النبتـة داخـل روحهـا لتنمـو وتترعـرع لتنبـت في قلبهـا العطشـان للحـب أشـجارًا وارفـة تعمـر قلـوب كل المحبـين، لـم تـدرِ بنفسـها وهـي تـردد وراءه مزاميـره التـي أطلقهـا في الهـواء دفعـات كأنهـا حـزم مـن الألحـان المعبـأة في صـدره مغنيًـا: «يـا قلـب الحـب ارمِ همومـك علـى تـراب الحبايـب وازرع فيـه سـنابل قمحـك وارويـه بحبـك يطـرح ورود وبسـتان».

اندهشـت صفيـة كيـف لهـذا الشـاب ذو القـوام الرياضـي والصـدر الممشـوق والجلبـاب المشـدود أن يكـون فلاحًـا في هـذه القريـة فهـو يبـدو مختلفًـا عـن شـباب القريـة الأخريـن، هـذه القريـة التـي لـم تـأتِ إليهـا منـذ طفولتهـا إلا كل أجـازة دراسـية امتثـالاً وإرضـاءً لإلحـاح والدهـا الـذي يعشـق مهبـط رأسـه ورؤوس الفلاحـين مـن أهلـه وأقرانـه.

هـذا الشـاب الـذي تعرفـت علـى اسـمه مـن فـلاح أخـر كان ينـادي عليـه للغـداء وهـو يأبـى أن يتوقـف عـن بذر البـذور في الأرض العطشـى وكأنـه يحضـن الأرض ويقبلهـا مـع كل بـذرة يلقيهـا، إنـه يذكرهـا بفرعـون متواضـع، فرعـون فـلاح ولكـن فلاحًـا يمشـي مختلفًـا ويغنـي مختلفًـا وينثـر البـذور في الأرض مختلفًـا.

تذكـرت صفيـة كل الشـباب الذيـن تقدمـوا لخطبتهـا وكـم كان والدهـا يتمنـى أن تقبـل أحدهـم قبـل أن تتخطاهـا سـنون العمـر ولكنهـا لـم تسـمع وتركـت قلبهـا مقفـلاً بمفتـاح ألقتـه بعيـدًا وقـررت ألا تفتحـه لأحـد مهمـا تقـدم بهـا العمـر إلا لمـن يجـد المفتـاح بنفسـه، تذكـرت صفيـة كل ذلـك وهـي تمصمـص شـفتيها ليـس ندمًـا علـى عمرهـا الـذي تخطـى الخمسـة والثلاثـين دون أن يجـد أحـد مفتـاح قلبهـا الضائـع ولكـن علـى هـذا الفـلاح الشـاب الـذي تمنـت أن يجـد المفتـاح في أرضـه تلـك التـي يحرثهـا ويزرعهـا ويرويهـا، ولكنهـا تعلـم أنهـا تحلـم سـرابًا وتـرى أضغـاث أحـلام فهـو وإن كان فرعـون متواضعًـا إلا إنـه في عينهـا وعـين والدهـا فـلاح بسـيط.

ابتسـمت صفيـة في نفسـها عندمـا رأت محمـود يثنـي ركبتيـه ممسـكًا بفـأس ليضـرب الأرض وكأنـه يعاقبهـا علـى بقائهـا هامـدة أوكأنـه يضـرب الأوجـاع فيهـا لتسـكت وتتفجـر فيهـا أنهـار الحيـاة، تحولـت بسـمتها إلـى ضحكـة مقهقهـة وهـو يرفـع الفـأس بكلتـا يديـه ثـم يهـوي بهمـا علـى مـا بـين رجليـه ليضـرب الأرض فـإذ بالفـأس يتسـمر في الهـواء بـين يديـه عندمـا أطلـت عليـه ضحكتهـا وعندمـا طغـى عليـه شـعاع الشـمس السـاطع مـن وجههـا وهـي في ردائهـا الأخضـر الضاحـك. تعجـب محمـود كيـف يغمـر كل هـذا الجمـال وجـه فلاحـة تخيـل لحظـة أنهـا زرع نبـت وترعـرع في صـورة إنسـان.

ضرب محمود الأرض بفأسه ضربة قوية فانفرجت الأرض أمامه ولكنه أصاب رجليه دون أن يدري فيديه كانت مع الفأس وعينيه على هذه الزرعة الخضراء الجميلة، كادت صفية أن يغمى عليها وهي ترقبه فجرت عليه لعلها تسعفه مشفقة عليه من الآلام وسيل الدماء ولكنها توقفت لما وصل إليه قبلها باقي الفلاحين ليأخذوه إلى أقرب مكان ليضمدوا جراحه التي نهشتها حد الفأس.

لم يخرج صفية من هول هذا المنظر إلا نداء ابنة عمها من بعد لكي يعودا إلى البيت فكفى اليوم من فسحة الانطلاق في الحقول، استجابت صفية وانطلقت بجسدها نحو القرية وقلبها نحو محمود الفلاح الفرعون المتواضع.

مع آهات الجرح الذي أدمى قدميه انسدلت آهات الإعجاب بضحكات تلك الفلاحة التي يشع وجهها ذكاءً وإشراقًا وحبًا للحياة ينعكس من ملامح وجهها البشوش وهي تنظر إليه مقهقهة على ضربة فأسه المعوجه ظنًّا أنها شكت في عدم خبرته في مسك الفأس وأنها الأفضل إن ضربت هي بفأسها وهي الفتاة الخضراء.

تعجب محمود كيف تسكن الحقول تلك الوجوه الملائكية وحسد الزرع والهواء الذي تلطف حروره ضحكات تلك الفتاة التي لم يعرف لها اسمًا ولا بيتًا، فهي فلاحة تبدو غصنًا أخضر على هيئة ملكة فرعونية سكنت الحقول تواضعًا لضربات فأس الفلاحين، وليته كان فلاحًا يسكن هذه الحقول.

ضحكات صفية جعلت محمود يتذكر كل تلك الفتيات اللاتي أعجبن به وأعجب بهن ولكن قلبه كان يقف له بالمرصاد، قلب يقفل بابه بألف مفتاح أمام القلوب الحالمة على وعد أن يفتح بابه لمفتاح واحد إذا وجد في مكان أوزمان ما هنا أوهناك.

تمنى محمود أن يكون هذا المفتاح بيد تلك الفتاة الملكة الفرعونية المتواضعة ولكن هيهات أن يوافق قلبه على هذا النوع من المفاتيح القروية، تمنى محمود أن يراها ثانية ولكن لن يستطيع فقد لزم البيت حتى تلتئم جراحات قدميه وهو لا يدري ما هو فاعل بجراحات قلبه.

كانت فترة النقاهة في البيت فرصة لمحمود أن يعود لذكرياته بالقرية التي انقطع عنها منذ سفره إلى البعثة وعمله في القطاع الهام في إحدى الوزارات السيادية. تذكر وهو طفل غض الأصحاب واللهو في الحقول بين الكر والفر وتمنى

المستحيل والخوض في الأحلام الرومانسية التي لا تخرج عن حيز الحقول كلما رأوا صبية تتمايل في فخر ودلال.

ابتسم محمود وهو يسترجع ملامح صفية الفلاحة الذكية ولكنها ليست مثل كل الفلاحات، فهي الملكة الفرعونية المدللة ومن يدري لعلها كانت من بين تلك الفتيات.

عاودت صفية الذهاب إلى نفس الحقل من الصباح الباكر لعلها تجد هذا الفلاح الفرعوني ولكن عبثًا باءت محاولتها بالفشل وتأكدت أنه ملازم الفراش، تأوهت هي الأخرى على ما فعلته ضحكاتها بقدم هذا الشاب وتمنت أن تراه لتضمد له جراحه لعل جراح قلبها تلتئم قبل أن تنتهي أجازتها وتترك القرية إلى صخب المدينة المملوءة بالمماليك والخاوية من الفراعين أطباء القلوب.

كم لها من ذكريات في هذه الحقول قبل انتقالها في عمر الطفولة مع والدها إلى المدينة التي أخذتها تمامًا من قريتها إلا من تلك الزيارات المتقطعة مع والدها حتى أنها نست الوجوه التي كانت تلهو معها إلا بعض الوجوه من الصبايا والصبية العالقة بذهنها كحال الصور المعلقة على الجدران لا نتذكرها إلا إذا رأيناها ونظرنا وتمعنا في ملامحها.

وكم يشبه وجه محمود بملامحه النقية ونظراته البريئة الشقية بعض تلك الصور المعلقة على الجدران.

انتهت الأجازة وجاءت لحظة مغادرة أسرة صفية القرية ففوجئت بوالدها يطلب منها ارتداء ثياب المدنية لزيارة أحد الأصدقاء قبل العودة إلى الديار، تمنت صفية أن تطلب من والدها أن يبقيا لمزيد من الأيام ولكنها لم تجرؤ فلا يوجد سبب مقنع خاصة أنها كانت دائمًا تطلب العودة قبل الميعاد. رضخت صفية لطلب والدها وذهبت معه إلى بيت الصديق.

فوجئ محمود بصفية وهي تدخل مع والدها البيت في أزهى ثياب المدنية وهو مستلقٍ بجانبه على الأرض متفاديًا الجراح بقدميه ويديه على جراح قلبه المخضوض.

نهض واقفًا متناسيًا الجرح غير مصدق أنها هي نفس الفلاحة الذكية التي رآها من يومين التي جعلته يهوي بالفأس على قدميه، غنت صفية في نفسها كل أغنيات التفاؤل لما رأت نفس الشاب الفلاح الفرعوني بملامحه الراقصة طربًا وشهقت لما قدمه والدها بأنه دكتور محمود ابن صديق العمر العائد بعد عشرة أعوام من البعثة والعمل في الخارج.

كانت اللحظة شاهقة بعلو السماء، ابتسمت الشفاه وتعانقت الأيادي وتحدثت العيون ولانت القلوب واستجابت لمفاتيح الحياة التي تاهت بين الأزمنة والأمكنة كثيرًا ولم تظهر إلا هنا بين مزارع الحقول الخضراء ومن دون ميعاد للقاء.

●●●

طوق البنفسج

«لماذا يصر الزوجان علي ان يكونا الملك والملكة والأمير والاميرة في نفس الزمان والمكان»

انحـدرت إليـه بصوتهـا العالـي وبجسـدها الحانـق ملوحـة بيديهـا يمينًـا ويسـارًا فتـارة تقتـرب منـه وتـارة تبتعـد كأنهـا تبـارزه بالكلمـات قبـل اللكمـات.

استخدمت أشجان جميع أسلحتها الفتاكة التي تأكد صابر أنها لا تنفد أبدًا ولكن أشجان تتمنى بل ترجو نفسها أن تتوقف أويدعوها صابر نفسه أويرغمها أن تتوقف ولو بلطمها على خدها أوضربها على صدرها ولكنه لم ولن يفعل.

وقـف صابـر عاجـزًا أن يفعـل شـيئًا أمامهـا، لزمـه السـكوت، وعـلاه الهـدوء الـذي يخفـي تحتـه بركانًـا مـن الغضـب لـو سـمح لـه بالانفجـار لـكان قنبلـة بشـرية تحطـم عظـام ماعداهـا.

صابـر رجـل بمعنـى الكلمـة، طويـل، عريـض المنكبـين، حلـو الملامـح، يبـدو هادئًـا، وذو مظهـر يـدل علـى القـوة الجسـدية الكامنـة ﴿ أماكنهـا إلا إذا حـدث مـا يتطلـب تحريكهـا فتتحـول إلـى قـوة ضاربـة ﴿ كل الاتجاهـات.

أشجان تعشق صابر ومكوناته الجسدية، تعشق فيه صمته وفورانه، تعشق فيه هدوءه وعنفوانه، تعشق فيه أدبه الجم وطول لسانه، إنه توليفة من الصفات التي تتمناها أي امرأة في رجل في أول الأربعين ويبدو شابًا في الثلاثين.

تعرفت عليه وهو في مقتبل الثلاثين من عمره صدفة وهي ترافق أحد صديقاتها إلى درس خصوصي لابنها، فرأت صابر فارسًا للغة الإنجليزية ليس بصوته الدافئ الحنون وعينيه اللامعتين اللتين يشع منهما وميض الحب الصامت والحنان الدافئ وحسب بل أيضًا بجسده الذي تجسدت فيه فوران الرجولة وقامات العزة والكرامة التي احتفظ بها على هيئة عضلات موزعة على جسده في تناغم غير مقصود.

ومع أن صابر لم يلتفت إلى أشجان يومها حيث كانت عيناه مع ابن صديقتها إلا أن أشجان لم تبعد مقلتيها عن شفاه وعيون صابر وكأنها أرادت أن تقول له أحببتك قبل أن أراك والآن أتمنى رضاك وأن تطلبني وأنا أتمناك. ولكن لم يقرأ صابر أي من هذه الكلمات ولا المشاعر بل استغرب أشجان حين أباحت له أسرار مشاعرها على التليفون نفس المساء.

قالت له في دلال النساء، حسبتك قرأت مشاعري وبادلتها

بـأرق منهـا ﻓﻲ نفسـك، تلعثـم صابـر، أنـا رجـل أقـرأ دروسـي لطلابـي ولا وقـت ولا مـكان ﻓﻲ القلـب عنـدي لهـذي المشـاعر، أنـا رجـل أتنسـم رجولتـي الأبيـة إلـى أن أصنـع إمكاناتـي الماديـة اللازمـة لـدلال الحـب والزوجيـة.

أعجبنـي كلامـك أكثـر يـا أسـتاذ صابـر، فأنـا امـرأة تشـتري الرجولـة وتقـدس الزوجيـة، وفـازت أشـجان بصابـر بعـد جـولات مـن الفـر والكـر، فكان لهـا ﻓﻲ الميعـاد الـذي أرادتـه وكانـت لـه مـن دون ميعاد.

لمـاذا لا تدافـع عـن نفسـك؟ لمـاذا تقـف صامتًـا هكـذا؟ لقـد سـئمت فيـك كل شـيء ولـم أعـد أتطلـع إلـى أي شـيء منـك، بـدأ صابـر يتململ مـن الموقـف فمصمـص شـفتيه ﻓﻲ حركـة عفويـة فظنـت أشـجان أنـه قـادم إليهـا بقصيـدة كلاميـة يدافـع فيهـا عـن نفسـه بكلماتـه القويـة القـادرة علـى تحطيـم كلماتهـا ولكنـه خيـب ظنهـا فقـد كانـت مجـرد مصمصمـة شـفايف عفويـة.

ثـارت أشـجان علـى نفسـها مـاذا أفعـل أكثـر مـن ذلـك لأحـرك هـذا المـارد الهائـل الماثـل أمامـي؟ مـاذا دهانـي أن أفعـل ليخـرج عـن طـوع نفسـه وينطلـق بغضبـه ويحطـه ﻓﻲّ ولـن أبالـي بـل سـأوسـع لـه نفسـي لكـي أحتويـه كلـه حتـى يهـدأ ﻓﻲ ظـل أنفاسـي، مـاذا أفعـل؟

أحبـه بـل أعشـقه ولكنـي أريـد أن أكـون سـيدته، ويعشـقني ولكنـه هـو السـيد.

لمـاذا لا نتقاسـم تلـك السـيادة وننتهـي مـن هـذه الإرهاصـات ونكـون رجـلاً وسـيدة، زوجـين بـلا ألقـاب. لمـاذا لا يتفـق الـزوجـان في بدايـة زواجهمـا علـى المواعيـد والأمـاكـن التـي يكـون فيهـا هـو السـيد وهـي السـيدة، والأوقـات التـي تكـون فيهـا هـي الملكـة وهـو الأميـر أوالغفيـر، والأخـرى التـي يكـون فيهـا هـو الملـك وهـي الأميـرة، لمـاذا يصـر الـزوجـان علـى أن يكونـا الملـك والملكـة والأميـر والأميـرة في نفـس الزمـان والمكان؟

وقبـل أن تنهـي أشـجان أسـئلتها المتتاليـة لنفسـها، فوجئـت بصابـر وقـد كشـر عـن أنيابـه تكشـيرة ارتجفـت لهـا أوصـالهـا لمـا رأتـه علـى هـذا الحـال فـذاب قلبهـا عشـقًا وابتسـمت بداخلهـا وصـاح عقلهـا الباطـن هـا هـو قـادم يـا حبيبتـي لا تقلقـي بـل اصبـري علـى الحبيـب صابـر.

وفجـأة تحولـت التكشـيرة إلـى ابتسـامة مكبوتـة علـى شـفاه صابـر، الـذي مـد يديـه إلـى ناحيـة أشـجان لتتأبـط سـاعده متسـائلاً، أيـن ترغبـين أن أصاحبـك اليـوم علـى العشـاء سـيدتي فقـد تذوقـت كلماتـك فابتلعتهـا وهضمتهـا فأثـارت شـهيتي لعشـاء

فاخـر علـى أنغـام أنفاسـك الحانيـة، إلـى أيـن ترغبـين أن نذهـب سـيدتي؟؟

مـررت أشـجان يدهـا داخـل يـد صابـر لتتأبطهـا وركنـت جسـدها المنتفـض إلـى جسـده الدافـئ، إلـى عشـنا يـا زوجـي الحبيـب، هنـاك كل الأصنـاف جاهـزة لأنفاسـنا السـاخنة، ركـب صابـر السيارة الفارهـة بجانـب زوجتـه التـي بـدت ملكة اسـتطاعت أن تفـوز بجسـد أحـد رعاياهـا وهـي تطـوف بمملكتهـا، وبـدا صابـر شـاردًا في نفسـه إلـى متـى أظـل جسـدًا يبـاع ويشـترى.

وقفـت السـيارة في الإشـارة، وأقبلـت الفتـاة بائعـة البنفسـج لتبيـع لصابـر فمـدت أشـجان يدهـا بالجنيهات لتشـتري كل الأطواق التـي مـع الفتـاة هديـة لصابـر فهـي تعلـم أنـه يعشـقه وهـي تريـد كل عشـقه اليـوم، ولكـن صابـر قـرر أن يشـتري هـو طوقًـا واحـدًا ليضعـه حـول عنـق الفتـاة بائعـة البنفسـج مرسـلاً لهـا ابتسـامة كلهـا حـب ودلال وكأنـه يـرى فيهـا وجـه محبوبتـه التـي مـازال يبحـث عنهـا في كل الوجـوه السـائرة.

ردت عليـه الفتـاة بابتسـامة أجمـل منهـا فقـد كانـت أول مـرة يعلـق أحـد طـوق بنفسـج في عنقهـا فأحسـت وكأنهـا أميـرة، ربنـا يجبـر بخاطـرك يـا أسـتاذ ويخلِّـي لـك أختـك الكبيـرة.

ابتسم صابر ونظر أمامه كأنه لم يسمع شيئًا وداست أشجان على بنزين السيارة لتنطلق ثائرة قبل أن تفتح الإشارة، فقد عاشت لحظة تفجر فيها ما سكن بينها وبين صابر طوال العشر سنوات الماضية، همس صابر في نفسه، شكرًا يا طوق البنفسج.

●●●

أميرة في عيادة نفسية

«اذا كنت تريد السعادة فلا تبحث عنها ، بل ارويها بماء التفاؤل فهي كامنة بداخلك»

ليالي الشتاء هذا الموسم قارص البرودة ولكني احتملت الوقوف ببلكونة الصالة الكبيرة لأطل عليها وهي قادمة تغازل الأرض بقدميها تخطو كغزال يقفز من ربوة إلى ربوة وعينيها تملآن الوجود حنينًا.

أخيرًا رأيتها من بعيد، عادت بعد أن قتلني القلق عليها فقد تأخرت اليوم ساعتين عن موعد عودتها ولم ترد على مئات المكالمات التليفونية مما جعل القلق يجري ويعوي في صدري كذئب جوعان، أخيرًا رأتني أميرة فهرولت إليَّ مسرعة وكأنها لا ترى في هذا العالم سوى كفي وصدري، فألقت بيديها في حضن كفي ونامت برأسها على راحة صدري وأغمضت عينيها وغابت عما حوالينا وكأنها ورقة خضراء عصفت بها الريح فجأة فطارت تترنح في هواء الكون حتى سكنت إلى ثرى الأرض.

قلت ما الخطب يا أميرة؟ فلم ترد واستكانت إلى السكون الذي لفها فأصبحت كغسق يقاوم الغروب أوشفق يقاوم الشروق، أنابت دقات قلبي عن ثورة القلق عليها بداخلي ولكني حاولت كتمان فورانها حتى لا تفيق أميرتي من سكونها.

لم تمضِ بضعة دقائق حتى أفاق مريضي مراد من غيبوبة السرحان هذه وأنا جالس على الكرسي المقابل لأريكة الاعتراف في عيادتي النفسية التي افتتحتها حديثًا وسط تهاني الأهل والأصدقاء. حديثك رائع يا مراد ولكن أي فتاة هذه التي كنت تتحدث عنها وجعلتك تغزل الكلمات بخيوط من حنين على نول المشاعر هكذا؟

نهض محمود وهو يحتضن العروس التي لا تفارق يديه ويناديها بأميرتي، فتأتي هي بنات أفكاري وأحلامي التي احتلت أسوار عقلي وحجرات قلبي منذ أن صدمتني عربة المشاكل في زحام مظاهرات تحرير العقول من قيود الهموم والبدع والحديث الخاوي من كل أي معانٍ.

ابتسمت لمراد وقلت أنت أعقل مريض في العالم وأنا أجن طبيب في مصر. الآن تعرفت على أميرتك يا مرادي العزيز التي تخاطب فيها دميتك وتحتضنها كطفل وليد بين ذراعيك.

وفي أمواج فورة المشاعر التي جرت من نيل أفكاري خلعت البالطو الأبيض، الذي كان إهداءً من أعز الأصدقاء بمناسبة افتتاح عيادتي، وأهديته لمريضي مراد وأخذت منه دميته واحتضنتها وتبادلنا الأدوار فقد أصبحت أكثر اشتياقًا من مراد لرؤية أميرتي... أميرتي التي تبحث عن أمير في عيادة نفسية...

●●●

تضخم المشاعر

«تماما مثل موج البحر ومثل المد والجذر تلتهب المشاعر بأسباب الحياة وكأنها النهاية ، ثم يهدأ كل شيئ وكأن إلتهاب المشاعر لفحة هواء بين شهيق وزفير ...»

أنت مصاب بتصخم القلب يا رفيق وعليك الرفق بنفسك كما أنت حريص على الرفق بالحيوان من خلال هوايتك المفضلة، اندهش رفيق من هذا التشخيص فظن أن الطبيب يمازحه فهو وكما يرى نفسه وكل من يراه قوي البنية زائد النشاط ويمارس الرياضة يوميًا ولا يشتكي من أي أعراض جانبية لها علاقة بتضخم القلب كما شخص الطبيب.

ماذا تقول يا دكتور؟! أنا قلبي سليم ومؤكد أن هناك خطأ ما، أرجو مراجعة الكشف، أنا متأكد من التشخيص يا رفيق وعليك أن تأخذ كلامي على محمل الجد وبطريقة العلاج والتي سوف تحتاج إلى أسلوب غير تقليدي لكي تشفى من هذه الأعراض، أنا مازلت غير مصدق فأنا لم أشتكِ أبدًا من قلبي، فنبضاتي منتظمة وضغطي في مستواه العادي كما أكدت لي وأنفاسي عادية، فكيف أعاني من تضخم إذا كانت وظائف قلبي سليمة، إنني أتعجب!!!

تعالـى معـي لتـرى بنفسـك الأشـعة التـي التقطهـا لـك، انظـر هنـاك ﴿ الجـزء العلـوي الأيمـن وهـو الأذيـن الأيمـن سـتجده متضخمًـا نوعًـا مـا عـن الحجـم الطبيعـي وعلـى حسـاب الأذيـن الأيسـر الـذي صغـر حجمـه قليـلاً وتحتهمـا البطـين الأيمـن الـذي لا يـدري مـاذا يفعـل فهـو حائـر لأنـه يتعامـل بـين الاثنـين فهـو يسـتقبل الـدم مـن الأذيـن الأيمـن ثـم يضخـه إلـى الأورطـي الـذي يمـر بالأذيـن الأيسـر.

أنـا أفهـم هـذا التشـريح مـن دراسـتي ﴿ الثانويـة العامـة وألاحـظ فعـلاً كبـر الأذيـن الأيمـن علـى حسـاب الأيسـر والذي قد يكـون تضخمًا كمـا تقـول فأنـا لـم أرَ الحجـم العـادي، ولكـن إذا كان هـذا صحيحًـا فلمـاذا الأذيـن الأيمـن بالتحديـد؟؟ عمومًـا أنـا مازلـت متشـكك ﴿ حالـة قلبـي فأنـا أدرى بقلبـي مـن جهـاز الأشـعة الـذي التقـط هـذه الصـور ويجـب أن أتاكـد بمزيـد مـن التحاليـل مثـل رسـم القلـب.

وافـق الطبيـب وهـو يبتسـم لكـي يجـاري رفيـق ﴿ كل مناقشـاته ومجادلتـه التـي فتحـت شـهيته للنقـاش العلمـي، معـك حـق يـا عزيـزي، هـذا هـو جهـاز رسـم القلـب، دعنـا نتأكـد، نظـر رفيـق مـع الطبيـب علـى رسـم القلـب الـذي بـدا عاديًـا تمامًـا فارتـاح وجـه رفيـق ونظـر نظـرة عتـاب إلـى الطبيـب وكأنـه يلومـه علـى

التشـخيص الخاطـئ ويطلـب الاعتـذار عـن خطئـه هـذا. إلا أن ابتسـامة الطبيـب اتسـعت وتأبـط رفيـق ليجلسـا سـويًّا أمـام مكتبـه ليشـرح لـه رسـم القلـب وحالـة قلبـه المتضخـم.

مـا إن جلس رفيـق علـى المقعـد أمـام الطبيـب حتـى أحاطـت بـه أحـداث الماضـي حتـى التـي لـم تسـع ذاكرتـه لهـا، تذكـر إلـى أي حـد كان والـده يخـاف عليـه مـن اللعـب في الشـارع ومن الجري في النادي ومـن السـهر متأخـرًا ومـن عـدم انتظـام مواعيـد الفطـار والغـداء والعشـاء ومواعيـد النـوم ومـن كل شـيء حولـه حتـى جعلـه يعيـش في عالـم غيـر عالمـه نفسـيًا وجسـديًا.

كان والـد رفيـق يخـاف عليـه بالفعـل مـن كل شـيء لأنـه ابنـه الوحيـد ولـو اسـتطاع لأحضـر كل مسـتلزمات الحيـاة إلـى حجـرة رفيـق الـذي كان يفهـم ذلـك جيـدًا فـكان يشـفق علـى والـده وينفـذ مـا يطلـب منـه دون مجادلـة بـل بحـب وإخـلاص.

أيعقـل أن يكـون والـدي كان يعلـم بمشـكلة تضخـم قلبـي ولذلـك كان يخـاف علـيَّ مـن كل شـيء أم أنـه كان يخـاف علـيَّ بالفعل ولا يعلـم بحالـة قلبـي، أيًّـا كان السـبب فيكفينـي أنـه كان يخـاف علـيَّ، الغريـب أن والـد رفيـق كان يعلـم أن تصرفاتـه خاطئـة علميًـا وتربويًـا ولكنـه لـم يسـتطع أن يغيـر مـن مخاوفـه ولا معاملتـه لابنـه الوحيـد.

آه يـا والـدي الحبيـب لكـم أتذكـر تلـك الأيـام التـي كنـت أتـوق فيهـا إلـى الخـروج مـع زملائـي في الأجـازة للذهـاب إلـى السـينما لمشـاهدة الأفـلام الرومانسـية التـي كنـت أعشـقها ولكنـك كنـت تمنعنـي وتجلس بجـواري نشـاهد مسلسـلات التليفزيـون الكوميدية والدرامـا والتـي كنـت أتململ منهـا وأعـوض عنهـا بالتهـام كـم المسـليات التـي كنـت تأتـي بهـا لنلتهمهـا في سـهرتنا أمـام التلفـاز.

أتذكـر الآن كـم كنـت أشـتاق إلـى التسـكع مـع أصدقائـي ومشـاهدة البنـات وهـن ذاهبـات إلـى المدرسـة صباحًـا أوعائـدات منهـا مسـاءً خاصـة أنـي كنت أهـوى إحداهـن وهـي بنـت الجيـران، ولكـن تحـت وطـأة أوامـرك يـا والـدي الحبيـب لـم أسـتطع إلا أن أكبـت كل مشـاعري وغرائـزي داخـل أنابيـب وبحيـرات نفسـي.

كـم كانـت أوامـر والـدي سـهلاً احتمالهـا في فتـرة الإعداديـة ولكـن أصبحـت قيـدًا علـى مشـاعري أثنـاء الثانويـة بعـد أن نضجـت مشـاعري وفـارت وازدادت ضربـات قلبـي كالعصفـور.

وعبثًـا حاولـت أن أقنـع والـدي بالسـماح أن أرافـق زملائـي إلـى الـدروس الخصوصيـة ولـو مـرة واحـدة في عطلـة نهايـة الأسـبوع إلا أنـه رفـض رفضًـا باتًـا بـل زاد مـن إحكام قبضـة أوامـره علـى جسـدي وقلبـي.

لـم يكـن لـي إلا أن أسـتجيب لوالـدي ولكننـي كنـت أتشـوق إلـى الخـروج لأتلصـص علـى محبوبتـي وهـي في طريقهـا إلـى المدرسـة أوالـدروس، التهبـت مشـاعري والتهبـت خلايـا الحـب في قلبـي وفـارت فيـه جزيئـات الـدلال ولكنـي أتذكـر جيـدًا كيـف اسـتطعت أن أحبسـها بالرغـم عنـي حتـى لا أؤذي مشـاعر والـدي، وبزيـادة رياضـة الكتمـان زاد احتقـان أنسـجة الحـب وتضخـم شـعيراتها الدمويـة التـي لـم تسـتطع أن تفـرغ شـحناتها العاطفيـة فـزادت أنابيـب وبحيـرات نفسـي احتقانًـا، ازدادت مشـاعري وازداد فورانها فـزدت مـن كتمانـي وهكـذا أمضيـت مرحلتـي الثانويـة بـين شـوق إلى التعبيـر عـن الحـب الـذي يملؤنـي وبـين رياضـة كتمـان المشـاعر.

مـن تعلـم رياضـة الكتمـان والاحتقـان وصـل الأمـر بقلبـي أنه لم يسـتطع حتـى التعبيـر عـن المشـاعر ليس فقـط إلـى محبوبتـي التـي لـم أسـتطع محادثتهـا والبـوح لهـا بحبـي بـل أيضًـا إلـى أصدقائـي وأقاربـي وزملائـي حتـى أطلقـوا علـيَّ لقـب «رفيـق بـارد المشـاعر» وهـم لا يعلمـون أنـي «بـارودي المشـاعر» ولكنـي أتحكـم في البـارود ولا أشـعله حتـى لا تشـتعل نيـران الحـب في قلبـي ويحتـرق.

ولكـن أليـس الاحتقـان ومنـع البـارود مـن الاشـتعال خطـر علـى القلـب، فالاحتقـان المزمـن قـد ينفجـر مـع الوقـت إلـى جبـال مـن

النيـران أويتعـود القلـب علـى الكتمـان فيصبـح كالأخـرس والأبكـم الـذي يسـمع ولا يتكلـم ففقـد القـدرة علـى التعبيـر وهـذا مـا كنـت أظنـه مـا حـدث لـي ولكـن جاءنـي الطبيـب الآن ليخبرنـي بتضخـم القلـب، أيكـون مـن الاحتقـان؟! لسـت أدري.

أيـن ذهبـت بأفـكارك يـا رفيـق؟! الموضـوع بسـيط. كيـف وأنـا أعـرف أن عواقـب تضخـم القلـب وخيمـة خاصـة مـع التقـدم في العمـر؟! لا تقلـق فمـا تعانـي منـه مـن تضخـم أساسـه عاطفـي وليس عضـوي، فـلا تقلق يـا عزيـزي فالحـل بسـيط، حـل أم عـلاج يـا دكتـور، تحدثنـي أنـه ليـس بمـرض بـل بمشـكلة تريـد حـلاً.

نعـم يـا رفيـق هـي مشـكلة والسـبب فيهـا طريقـة نشـأتك كمـا حكيتهـا لـي بالتفصيـل لأفهم سـر هذا التضخم النـادر والذي لا يصيب إلا الأشـخاص رهيفـي الحس مثلك، إذًا مـاذا عـن هـذا التضخـم؟ ومـا هـو الحـل؟ فأنـا قلق للغايـة وكلـي شـوق للحـب الجـارف.

النـاس أنـواع يـا رفيـق، فـكل منـا لـه خصائصـه المميـزة لـه دون غيـره، فمنـا مـن هـو طويـل أوقصيـر، ثمـين أونحيـف، هـادئ الطبـاع أوسـريع الغضـب، بشـوش أوعبـوس، كل هـذه الصفـات تشـكل مظهرنـا وسـلوكنا.

ولكن عوامل وطريق التربية لها تأثير كبير على تشكيل سلوكنا ومخرجاته وكل ذلك ينعكس على المشاعر والأحاسيس وردود أفعالنا، وإذا كان العقل هو مصدر الفكر والتفكير فإن القلب هو البوتقة التي تنصهر فيها كل هذه الأفكار ومردود أفعالها وأحاسيسها.

ولكن القلب يا دكتور هنا لفظ معنوي ليس مقصود بعضو القلب ذاته، فالقلب فقط هو العضو الذي يعكس كل ذلك في ازدياد أونقصان عدد ضرباته وخفقاته، فهو فقط مرآة أحاسيسنا وليس هو الأحاسيس أومفجرها، قد يكون كلامك صحيح

يا رفيق ولكن القلب تشريحيًا هو الذي يتعامل وظيفيًا مع مؤثرات العواطف والانفعالات. والتضخم الذي بقلبك هو تضخم نتيجة تعود الأوردة التي تأتي بالدم من أعلى وأسفل الجسم لتصبه في الأذين الأيمن على نمط واحد من الانفعالات ثم كتمانها. فأنت رجل حساس ذو مشاعر، مشاعرك تفيض ولكن عقلك يقرر كتمانها، فبدلاً من أن تستجيب أوردة الجسد بطريقة تلقائية تنقبض لتحبس مشاعرك ليبدو القلب طبيعيًا في ردود أفعاله وخفقاته.

وبتكرار ذلك خاصة أثناء المرحلة الثانوية والتي تأججت فيها مشاعرك وانتفضت تحت مزيد من الكبت والاحتقان، احتقن القلب وتضخم الأذين الأيمن لأنه هو المنوط به استقبال الدم المحمل بالمشاعر من الجسد.

وعندما أردت بعد فراق والدك أن تسترجع كل ما فاتك من انفعالات بأثر رجعي وإفرازها مرة واحدة بدأت آلام تضخم المشاعر تظهر بعد أن كانت قد استكانت لفترة طويلة، صعب يا رفيق بل من المستحيل أن تملأ جوالاً بالشعير عن أخره ثم تفرغه عن أخره في لحظة واحدة.

وما هو الحل يا طبيبي؟! أنا أريد أن أحب وليس الحب بعنفوانه وأن أعيش حياتي بطبيعتي وأستمتع بكل شيء فيها بحلوه ومره فكفى حرمانًا من التعبير عن المشاعر، الحل يا صديقي أن تعبر عن مشاعرك رويدًا رويدًا دون إفراط وأن تبدأ بالتعبير عن المشاعر الغير ملتهبة كما في العلاقات الإنسانية عمومًا مثل الأهل والأصدقاء.

أما مشاعر الحب فيجب أن تؤجلها أوتبدأ بجرعات قليلة جدًا ثم تزد منها مع الوقت حتى لا تصاب بذبحة تضخم المشاعر الحادة، أنا لا أصدق، أيكون داخلي بركانًا من الحب

أريد تفجيره في سماء حبيبتي بألوان الحب النارية ولا أستطيع، إنه ظلم للقلوب المحبة. إنه القدر يا رفيق تمامًا مثل من يمتلك أموال الدنيا ويشتهي الأكل واشتراه ولكنه لا يستطيع أن يتذوقه لعلة في بطنه، إنه القدر يا رفيق، ولا تحزن فكفى أن قلبك قلب محب وقادر على الحب وعطائه، وسوف يشفى بعد حين من مرض تضخم المشاعر حيث تصبح مشاعرك على قدر قلبك المحب.

وضع رفيق يده على قلبه ليهدهده ويواسيه فيما هو مقبل عليه، فلا تفريط في الحب ولا تفريط في الحزن، أخرج ما لديك يا قلبي وكأنك لست بقلبي، وعاش رفيق ويده على قلبه ولم يبقَ حوله إلا الحزن وقليل من الفرح.

●●●

أحشاء من حب

«دفء المشاعر كأشعة الشمس لا تحتاج شروط لكي تشرق ....»

ربـط بينهمـا الحـب بربـاط خيوطـه مـن مشـاعر متدفقـة وإخـلاص مـن عـرق سـنين العِشـرة، وفي غربـة الزمـن والمكان تصاعـد بخـار الخلافـات مـن جـرّاء غليـان مسـئوليات الحيـاة التـي كانـت أكبـر مـن عمرهمـا الغـض وأكبـر مـن الجنـين الـذي بـدأ ينقـر بقدميـه أحشـاء أمـه، وفجـأة تصاعـدت فقاعـات الخلافـات السـاخنة وامتـلأت سـماء الرومانسـية بسـحابات العصبيـة ودخـان الغضـب، وهنـا صرخـا سـويًّا، ثـم افترقـا علـى غـرة وبـلا ترتيبـات، فقـررت في غفلـة مـن مشـاعرها أن تعـود. عـادت وفي أحشـائها الوليـد المنتظـر إلـى بيـت أبيهـا في بلدهـا التـي تركتهـا مـن أجلـه، وبعـد عـدة أسـابيع خاصمـه النـوم فيهـا وصاحبـه السـهاد واجتاحـه شـوق العاشـقين لحلالهـم، اسـتيقظ مـن نـوم كان قـد سـرقه مـن التعـب، اسـتيقظ علـى شـيء مـا يتحـرك في أحشـائه ومـن دون ألـم، ازداد تحـرك الشـيء في أحشـائه، شـيء لا يشـعر بـه ولا يتحسسـه ولكنـه كاد أن يخـرج مـن بطنـه كسـراب مـن الوجـع، ودون أن يـدري جـرى علـى سـماعة التليفـون واتصـل بهـا ليطمئـن عليهـا وكلـه شـوق مكتـوم في صـدره.

هو في خجل: اشتقت إليك ولنفسي.

هي على عجل: وأنا الشوق هدني.

هو بلهفة: أشعر بأحشائي تتحرك غصب عني، ولا أدري ما بها.

هي برقة: ووليدك تحرك وترك أحشائي.

هو بنغم: أنتِ وأنا رحم لعشقنا الذي لا ينتهي، فما أحلى من وصل مشاعرنا.

هي بدلال: أنتظرتك وأنت معي.

هو بعذوبته: كلي لكي.

●●●

فلكلور القلوب

«المشاعر الانسانية كالدقيق، ان هبت عليها رياح البغض تذروها، وان صبت عليها مياه الاخلاص تصير خبزا للقلوب الطيبة ...»

عندما اكتمل قرص القمر واستدار بضيائه بدأت فرحة تغني الأغنية التي تحفظها عن ظهر قلب والتي تعودت أن تغنيها في كل مناسبة سعيدة ويرددها خلفها نساء الحي ولكنها هنا تغنيها في جلسة خاصة اعتادت أن تقيمها كل شهر بالتعاون مع لبنى.

وما إن سمع الأطفال والصبايا صوت فرحة ينطلق في الهواء حتى أتوا من كل ناحية ليسعدوا ليس فقط بصوتها الجميل ولكن أيضًا بصحبتها الدافئة، اكتملت الدائرة بحضور لبنى ابنة الحي التي عادت من إنجلترا منذ شهور قليلة بعد أن أنهت دراستها العليا في فن الفلكلور الغربي.

ومع أن لبنى قضت خمس سنوات في الغربة إلا أنها مازالت كما هي في بساطتها ورقتها وإخلاصها لأهل الحي الطيبين بل ازداد شغفها بالفلكلور المصري لتشبع منه وتقارنه بالفلكلور

الغربـي متمنيـة أن تجمـع بينهمـا بعـرض مبـدع ينـال إعجـاب البسـطاء قبـل المحترفـين بحثًـا عـن سُـلَّمٍ للوحـدة الفكريـة بـين الغـرب والشـرق.

عـزف الجميـع الموسـيقى التصويريـة بكفوفهـم علـى أنغـام صـوت فرحـة وانطلقـت الزغاريـد معلنـة عـن أسـعد اللحظـات التـي تنـادي فيهـا الألسـنة والحناجـر في صـوت غنائـي واحـد علـى الفرحـة أن تهبـط مـن سـمائها وتعشـش في قلـوب كل الموجوديـن فتمتلـئ حياتهـم البسـيطة بنشـوة الرضـا والتفـاؤل والألفـة.

سـرت في القلوب نشـوة والعقول شـهوة والأجسـاد هزة فأصر الحضـور علـى أن تقـوم فرحـة ولبنـى بالغنـاء سـويًّا، وتحـت إلحـاح الجميـع قامـت لبنـى علـى اسـتحياء شـديد بالاسـتجابة لفرحـة وقامـا وغنَّـا ورقصـا فغشـي الجميـع سـعادة وكانـت الليلـة واحـدة مـن ليالـي ألـف ليلـة وليلـة.

انتهـت فقـرة الغنـاء بصـوت فرحـة دون أدوات موسـيقية إلا مـن أنغـام الكفـوف ثـم فوجئـت لبنـى بأكـواب الشـاي والقهـوة علـى الصوانـي النحاسـية وبجانبهـا أباريـق المـاء فأخـذت تلتقـط الصـور لهـذه البانورامـا الأصيلـة فمـا أجمـل شـكل الصوانـي الدائريـة التـي صنعهـا المصريـون لتكـون الملتقـى لهـم بـه يتقاربـون جنبًـا إلـى جنـب.

حمل الصينية شاب أسمر تلمع سمرته بهاءً تحت أضواء الشموع التي تصر فرحة أن تكون عنوانًا للحفلة وليس المصابيح والتي تطلق عليها قذائف الكهرباء. دخل سهيل الشاب الأسمر وابتسامته تسبقه لتسلم على الحضور بالنيابة عن يديه اللتين انشغلتا في صب القهوة في الفناجين بسعادة بالغة وكأنه يوزع الحظ على الحضور بعيونه المبتسمة.

الجلباب الأبيض والطاقية البيضاء المزينة ببعض الدوائر المزرقشة تضفي على سهيل بساطة يغشوها أبهة ملفوفة في اعتزاز عميق بالنفس وممزوجة بخفة روح تفضحها عيونه الضاحكة.

وبدون وعي نهضت لبنى لتصب فنجان القهوة بنفسها إشفاقًا منها على هذا الشاب النوبي البسيط الذي مع بهائه وابتسامته الرائقة والراقية وعيونه الضاحكة العميقة كعمق المحيط يخدم الحضور.

استغربت لبنى كيف لهذا الشاب دون غيره بحضوره البسيط المتواضع الجذاب أن يكون الوحيد هنا لخدمة هذا الجمع من النساء والأطفال، جذبت فرحة لبنى من جلبابها لتنبهها أن تبقى في مكانها حتى يقوم سهيل بتقديم واجب الضيافة كما تعود الجميع، لا عليك يا فرحة فأنا أحب أن أصب فنجاني

بنفسـي فهـي رياضـة رائعـة للتحكم ـ في أعصـاب الأنامـل ونظـرات العيـون وانثنـاءات الجسـد ـ في تناسـق ورشـاقة.

ضحكـت فرحـة وزادت مـن جذبهـا لجلبـاب لبنـى التـي اضطـرت أن تسـتجيب فهـي مسـتجدة هنـا ولا تـدري كثيـرًا عـن بروتوكـولات الحفـل، لمعـت عينـا سـهيل وهـو يراقـب خفيـة لبنـى ويقـرأ مـا بذهنهـا ورهافـة حسـها مـن ذوق وبسـاطة ـ في خدمـة نفسـها ـ في عفويـة ألقـت علـى جمالهـا ثوبًـا مـن الخجـل ورمـزًا لجمـال الحيـاة.

أمسكت لبنـى فنجانهـا مـن يـد سـهيل وتمنـت أن يبقـى ممسـكًا بـه ليقـرأه لهـا بعيونـه لعلـه يـرى فيـه الأحـداث السـعيدة ـ في الأعـوام القادمـة بعـد أن عـادت مـن غربـة لتجـد نفسـها وحيـدة إلا مـن هـذه الصحبـة الرائعـة التـي انتشـلتها مـن سـكون الحيـاة وراء أبـواب الـدور وصخبهـا ومـا وراء أبـواب العمـل والحانـات ومـا بـين أرصفـة الشـوارع المزدحمـة بأجسـاد النـاس ومنتجاتهـم وأفكارهـم التـي سـالت علـى أرض الشـوارع تلـج فيهـا الأقـدام المسـرعة إلـى نهايـات هـي بدايـات لأحـداث كل يـوم.

انتقـل سـهيل برشـاقة مـن لبنـى التـي دقـق ـ في ملامحهـا إلـى فرحـة التـي أسـرعت بأخـذ فنجانهـا لترتشـفه علـى ثـلاث مـرات

قبل أن ينهي سهيل توزيع الفناجين على باقي الحضور، طلبت فرحة فنجانًا أخر كالمعتاد حتى يحلو مزاجها ويروق قبل أن يبدأ الجزء الثاني من الحفل.

ارتشفت لبنى فنجانها هي الأخرى سريعًا حتى تطلب من سهيل فنجانًا أخر لتحظى منه بابتسامة أخرى من الشفاه التي تتحدث بصمت يحوي كل الكلمات التي تتولد منها بساطة الأشياء.

اليوم فرحك الكبير يا لبنى، فهو اليوم الذي ننتظره منذ أربع سنوات منذ أن بدأت دراساتك عن الفلكلور الغربي خاصة إنك أبدعتي في فهمه وتطبيقه وكأنك من أبناء هذا الفن، نعم يا أستاذي، اليوم هو فرحي الذي ظننت يومًا أنه بعيد المنال ولكنه ماثلاً أمامي اليوم وكأني أولد من جديد في ثوب غربي خيوطه من الشرق.

أعجب هذا التعبير الأستاذ أيما إعجاب فما كان منه إلا أن استعاره في تقديم لبنى قبل مناقشة أعمالها أمام لجنة الحكم لرسالتها في الدكتوراه.

أبدعت لبنى في عرض نتائج دراستها وأظهرت كيف أن الفلكلور الغربي متنوع ومميز لكل دولة بطابع خاص.

ثم تحدثت عن وأصل كل طابع وأوجه التشابه وربطه بالبيئة واللغة مع أن الدين عامل مشترك إلى حد كبير ثم أوضحت كيف أثرت الحربين العالمية والثانية ثم وحدة أوروبا على هذا الفن الأصيل وإلى أي مدى تأثر الفلكلور الغربي بالفلكلور العربي أثناء التواجد الإسلامي في أوروبا، وأخيرًا تحدثت لبنى عن تأثير الفلكلور عامة والغربي خاصة على الذوق العام والسلوك الإنساني بطريقة غير مباشرة وإلي أي مدى يستطيع الفلكلور أن يكون عاملاً في تقارب الشعوب.

تذكرت لبنى كيف أنها كانت ترد بطلاقة وثقة عالية على أسئلة المحكمين قبل أن يعلن حصولها على درجة الدكتوراه لتكون من ضمن عدد قليل من العالم العربي في هذا التخصص.

كم تمنت لبنى أن تحقق أحد التوصيات المهمة لدراستها وهي أعمال تجمع بين الفلكلور الغربي والعربي عامة والمصري خاصة في تزاوج فني راق قد يؤدي إلى أجيال جديدة من الفلكلور الهجين بملامح جديدة.

تذكرت لبنى كيف أنها عزفت عن جميع عروض الزواج سواء من القاهرة أواسكتلندا وكيف أنها كانت ومازالت تحلم بزواج الفلكلور الغربي والعربي ولذلك فهي لجأت إلى فرحة لينظما هذا الحفل الفلكلوري الأسبوعي لتغني فرحة وترقص

ووراءهـا الأطفـال والصبايـا والشـباب وكل مـن يعشـق الفلكلـور المصـري البسـيط.

تذكـرت لبنـى نظـرات الإعجـاب التـي طاردتهـا أثنـاء دراسـتها مـن زملائهـا الدارسـين ورغبتهـم في الـزواج ولكـن قلبهـا كان يبحـث عـن رقصـة فلكلـور مـع قلـب لـم يوجـد بعـد وربمـا لـم يولـد بعـد، ومـازال قلـب لبنـى يـدق بـلا رقـص ولكنـه علـى أهبـة الاسـتعداد أن يرقـص إذا راقصـه قلـب يسـتطيع فـك شـفرات دقـات طبـول الفلكلـور الرومانسـي الـذي يعزفـه قلبهـا ويرتـدي زيـه عقلهـا.

تنـاول الجميـع القهـوة مـن صينيـة سـهيل مـع تبـادل التحيـات معـه وانسـحب سـهيل بجلبابـه الأبيـض الناصـع وطاقيتـه المزرقشـة المبهجـة وأسـنانه البيضـاء النقيـة التـي تطـل مـن بـين شـفتيه التـي سـكنت فيهمـا ابتسـامات الحيـاة التـي يوزعهـا ببسـاطة ترقـرق القلـب وبتلقائيـة لـم تعهدهـا لبنـى، ومؤكـد أن هـذه البسـمات الرائقـة هـي انعكاسـات لقلـب رائـق كـم حلمـت لبنـى أن تعثـر عليـه وسـط مـزارع القلـوب الغضـة والفولاذيـة.

علـى أخـر رشـفة مـن القهـوة قامـت لبنـى بقوامهـا الممشـوق ووجههـا الضاحـك وحضورهـا الطاغـي تسـبقها بسـاطة كلماتهـا معلنـة عـن الفقـرة الثانيـة مـن الحفـل وهـي عـن الفلكلـور الغربـي وخاصـة الاسـكتلندي، ونظـرًا لأنهـا كانـت أول مـرة لهـا أن تقـدم هـذا النـوع مـن الفلكلـور، طلبـت فرحـة مـن لبنـى بابتسـامة عميقـة

أن تشرح للحضور بعض المعلومات عن الفلكلور الغربي قبل أن تقدم فقرتها فمعظم الحضور لا يعرفون شيئًا عن هذا الفن.

وكأنها كانت تنتظر هذه اللحظة التاريخية بشغف لتظهر مكنون عشقها لهذا الفن الذي عوضها عن عشق القلوب.

ولأن الكثير من الحضور قد لا يعرفون كلمة فلكلور فقد شرعت لبنى في شرح بعض المعلومات عن أصل تسمية مصطلح الفلكلور والذي جاء من اللغة الألمانية (Volkskunde) ومعناها بالعربية (علم الشعوب) والتي يقابلها باللغة العربية (التراث) وهو إرثنا عن أسلافنا من الثقافة.

وقبل أن تشرح وتعطي أمثلة للفلكلور الغربي قامت لبنى بإعطاء أمثلة عن التراث بمصر في الملابس مثل الجلباب البلدي والصعيدي والإسكندراني للرجال وكذلك عبايات وطرح السيدات ثم شرحت بعض الرقصات الشعبية مثل الساحلية والصعيدية والبدوية.

وما إن بدأت لبنى تتحدث عن الفلكلور الاسكوتلندي ضاربة بالزي هناك كمثال واضح للحفاظ على التراث حتى فوجئت بمن يدخل راقصًا برشاقة وتمايل متقن في زي الإزار الاسكتلندي المعروف بالكِلت (Kilt) وهو لباس يرتديه الذكور في اسكتلندا يشبه الإزار اليمني كجزء من الزي الشعبي.

وفوجئت لبنى بأن الراقص هو سهيل والذي بدا كأنه راقص محترف بدأ بالرقص بالجلباب الصعيدي على دقات طبول فرحة ومجموعتها ثم يتبعها برقصة أخرى بجلباب شعبي أخر في تناغم رائع مع دقات الطبول بخلع جلباب من فوق جلباب بمهارة عالية حتى إن بان للجميع بلباس اسكوتلندي راقصًا على أنغام الموسيقى المسجلة في الكاسيت في جانب الحجرة.

بدا كل شيء وكأنه معد من البداية وأن الذي أدار هذا الإعداد المتقن ليس فرحة وإن شاركت فيه. فمن يا ترى من قام بإعداد هذا البرنامج المبدع وتدريب سهيل على هذه الرقصات بهذه التتابعات المتقنة الجميلة وهو الشاب البسيط والذي يعمل هنا مجرد خادم لحضور الحفل، لم تستطع لبنى أن تستوعب ما يحدث خاصة وأنها مازالت تلاحق سهيل في رقصاته وهي في حالة اندهاش كامل عندما رأته يرتدي زي لم تره من قبل جزءه الأعلى قطعة من جلباب صعيدي والسفلي من الزي الشعبي الاسكوتلندي فبدا واضحًا للبنى أن الأمر ليس عفويًا بل تم إعداده ليعكس فلسفة لبنى في دمج الفلكلور الغربي بالعربي كرمز لاتحاد الشعوب، ما هذا الذي يحدث يا لبني؟! إنه حلم يتحقق لأمانيها دون أن تشارك فيه، فمن يا ترى من قام بذلك؟! مؤكد ليست فرحة ولو دقت الطبول ببراعة ولا سهيل ولو رقص بإبداع.

وعلى صوت التصفيق الحاد للحضور على رقصات سهيل خرجت لبنى من حالة الاندهاش والسرحان التي عاشتها لدقائق مرت عليها كعمر سنوات البعثة الخمسة التي قضتها في أوروبا.

لم تدرِ لبنى إلا ويديها تصفقان بشدة لتشارك الحضور إعجابهم برشاقة سهيل في رقصاته وأنغام دقات طبول فرحة وشدوها الهامس أثناء الرقصات.

أخذت الأماني لبنى إلى عالم الأحلام وفيه فارسها الذي طالما حلمت به وتمنته شريكًا لحياتها ولثقافتها ودراستها ليرقصا سويًا على دقات قلبيهما ويجوبا البلاد في عفوية وببساطة يغلفها إبداع الرقصات الفلكلورية لفارسها وبإخراجها هي ليرى الناس كيف أن تراث البلاد مقدس كترابها.

عاشت لبنى لحظة حلم جميلة فارسة ترى فارسها قادمًا من بعيد ولكنها لا تستطيع أن تتبين ملامحه، تقترب لبنى منه مرتبكة وهو يقترب راقصًا ولا تدري إن كان يرقص لها أم لكل الناس.

تساقطت دمعة من عين لبنى وهي ترى فارسها في الحلم ولا تستطيع أن تحادثه، فحاولت أن تقترب أكثر وأكثر ويداها متعلقتان في الهواء تجاهه وهو مازال راقصًا برشاقة بها حنان.

واقتربت واقتربت وعندما دنت منه وراحت تلامسه أفاقت من غفوتها على أيدي فرحة تمسح لها دمعتها التي تساقطت على خديها ووجهها كله ابتسامة يملؤها حنان بالغ وبجانبها سهيل بابتسامته العريضة الحانية الذي مد يده تجاه لبنى في انحناءة مقدمًا نفسه سهيل عبد الباقي فنان وحاصل على الدكتوراه في الفلكلور المصري وأتمنى أن أحقق حلم حياتي في مزج الفلكلور المصري والغربي، فهل لي أن أكون زميلاً في الفن لنعمل سويًّا كفارسين في هذا المجال.

أنزلت لبنى يديها اللتين كانتا معلقتين في الهواء تجاه فارسها لتضعهما في يد سهيل والفرحة تملأ عقلها وتنساب إلى قلبها لتسير في روحها وجسدها لتضخ ابتسامة تملؤها الحياة، نعم يا سهيل، أهلاً بك صديقًا وفارسًا وليحيا الأصدقاء.

●●●

العزف على قصاصة ورق

«المشاعر هي مياه أنهار العلاقات الإنسانية ، قد تجري وتتدفق وتتبخر لتتجدد ، وقد تبرد ، وقد تتجمد حتي تفيض يوما ما عندما تسقط عليها اشعة شمس الحياة من بعد مغيب ...»

اندهـش سـليمان لمـا وجـد كتابـه الـذي ألفـه حديثًـا بجانـب موقـد التدفئـة. ألقـى نظـرة خاطفـة على الكتـاب ثم أخـذه بتخفـز لعلـه يجـد شـيئًا مـا علـى غلافـه أوفي طياتـه يسـتطيع أن يعـرف منـه السـبب في وجـود الكتـاب هنـا.

مـن المفتـرض أن يكـون هنـاك في يديهـا لتقـرأه بتمعـن أوفي مكتبتهـا التـي تحـوي مئـات الكتـب مـن كل لـون وشـكل، أوعلـى مدفأتهـا في غرفـة المعيشـة ينتظـر يديهـا المرهفتـين لمداعبـة صفحاتـه بتشـوق وحنـان وهـي ترتشـف فنجـان الشـاي السـاخن لتنتشـي رئتهـا ويرتفـع صدرهـا بالشـوق في هـذا الجـو القـارص البـرودة.

لـم يجـد سـليمان شـيئًا علـى الكتـاب فتفحـص غلافـه بدقـة كأنـه مخبـر سـري يبحـث عـن أثـار يديهـا التـي يعشـق ملمسـهما أوبصمـات أصابعهـا التـي تجعلـه يـزداد شـبابًا كلمـا تملـى فيهمـا

ولـو مـن مسـافات بعيـدة، ولكنـه وجـد بـين صفحتـي الكتـاب رقـم خمسـين والواحـد والخمسـين قصاصـة ورقـة تمتـد خـارج الصفحـات وكأنهـا تتعسـس عليـه وتتلصـص وتسـجل انفعالاتـه ونظراتـه وهمسـاته وحركاتـه لحظـة أن رأى الكتـاب فـوق المدفـأة.

أمسـك سـليمان الورقـة بإحـدى يديـه بلطـف وبالصفحـات بيده الأخري مخافة أن تضيع ثم رمـى جسـده المتعب علـى المقعد الوثيـر الـذي طالما شـهد معهـا مناقشـات تعلـو فيهـا الأصـوات تـارة وتنخفـض وتحنـو تـارة أخـرى وكأن كلماتهمـا علـى أرجوحـة معلقـة في الهـواء.

يـا الله القصاصـة معطـرة بأريـج يديهـا الـذي يسـتطيع سـليمان أن يميـزه مـن بـين آلاف العطـور، يشـعر حـين يشـمه أنـه فـارس وملهـم وعاشـق وناسـك بـل كل الرجـال، مـا زال عبـق العطـر هنـا وكأنهـا لـم تبـرح المكان- هـي العطـر ذاتـه. يـا لهـا مـن روعـة أن تستنشـق ذرات عبيـر يديهـا وأنفاسـها التـي تمـلأ المكان.

يقتلنـي هـذا الإحسـاس ومـا أحـب لـدي أن أقتـل بشـذا عطرهـا مـرات ومـرات، وليـس هنـاك أجمـل مـن لحظـات أتنفـس عبيرهـا زخـات زخـات.

ومـا إن ألقـى سـليمان بجسـده علـى المقعـد حتـى بـدأ يقـرأ القصاصـة ولكنـه لا يريـد أن يقرأهـا وكأنـه يسـتعذب نـار شـوق الانتظـار والمفاجئـات مـن سـلوى حبيبتـه التـي أذابـت جسـده إلـى حبـات مـن الآهـات المكتومـة.

سـيطر علـى سـليمان شـعور جديـد وهـو الخـوف ممـا خطـت يـد سـلوى مـن كلمـات قـد تكـون لـه آخـر المحطـات في طريقهمـا، أمسـك سـليمان بالقصاصـة ونحـا يديـه جانبًـا ونظـر إلـى أعلـى، إلـى صورتهـا التـي تمـلأ الحائـط المقابـل لمقعـده الوثيـر.

ابتسـم سـليمان للصـورة ابتسـامة جمـع فيهـا كل ذكرياتـه الجميلـة معهـا ثـم مـا لبـث أن أتبعهـا بعبـوس لمـا تذكـر مناقشـتهما الحـادة واختلافهـم علـى أشـياء لـم يكـن أبـدًا يتخيـل أن تكـون موقـع اختـلاف.

وقـف سـليمان أمـام هـذا التابلـوه الرائـع الـذي يجسـد مـلامح سـلوى الرقيقـة بابتسـامتها العذبـة الراقيـة ونظـرة عيونهـا الكاحلـة التـي تنظـر إليـه مـن كل الجوانـب، زادت ابتسـامته وتحـدث إلـى عيـون سـلوى في صمـت: يـا تـرى مـاذا خطـت يـداكِ علـى هـذه القصاصـة لتفاجئينـي، أهـي كلمـات للحـب أم للهجـر، فليلطـف اللّه بقلبـي حتـى أقـرأ كلماتـك علـى مسـامعي.

نظـر سـليمان إلـى غـلاف الكتـاب ليقـرأ عنوانـه «ديـار العشـق المهجـورة» لكتابـه الجديـد والـذي أراد أن تقـرأه سـلوى لتـدون ملاحظتهـا ورأيهـا كمـا تعـود حتـى ولـو كلمـات بسـيطة منهـا هـي لـه بمثابـة روائـح للصفحـات، عنـوان ارتـاح إليـه مـن أكثـر مـن مائـة عنـوان ناقشـها مـع سـلوى مـع أنهـا لـم يـرق لهـا هـذا العنـوان فـكان سـببًا للنقـاش الـذي احتـد بينهمـا مسـاء الأمـس.

ومـع أن العنـوان مناسـب للروايـة إلا أنـه يذكرهـا بجفـاف بئـر العواطـف الـذي نضـب في السـنوات الأخيـرة رويـدًا رويـدًا بينهمـا دون أن تـدري هـي ودون أن يلاحـظ هـو هـذا الجفـاف، آه يـا سـلوى لـو رجـع الزمـان لكنـت جعلـت دفـة كلماتـي تجـاه شـواطئ بحـور كلماتـك الرقيقـة حتـي أمحـي كل هـذا الجفـاء ولكـن الزمـن للأسـف لا يعـود.

مـع الحـب الكامـن في الصـدور وذكريـات العشـر سـنوات التـي قضاهـا سـليمان وسـلمى زوجـين تغمرهمـا السـعادة، إلا أن الخـلاف تسـرب إلـى عشـهما مـن تحـت أبـواب الحـب حبـات ظنـوا أنهـا مجـرد رطوبـة علـى جـدران العشـرة، ولكـن المـاء تجمـع وكـون بركـة وسـط المشـاعر حتـى أصبـح كل منهمـا قبطانًـا في ميـاه الشـوق التـي طمسـت علـى رغبـة الاتفـاق فغلـب الفتـور علـى علاقتهمـا التـي لـم يظنَّـا أبـدًا أن تنتهـي علـى هـذا الحـال.

وكانت ليلة أمس هي البوتقة التي ذابت فيها الأصوات العالية واحتدم لهيب المشاعر الغاضبة حول نيران المدفأة فتشاجر الزوجان وترك سليمان البيت ليقضيه عند أحد أصدقائه حتى يهدأ روعه وتهدأ سلوى وتعود كالحمل الوديع بين أحضانه عندما يدق جرس الباب في الصباح ليعطيها هديته التي تعود أن يشتريها بعد كل خصام فتفرح بها وتأخذه بين أحضانها وهما تحت صورتها وكأنها تبارك أنفاسهما المتحابة إلى الأبد.

ولكن اليوم كان مختلفًا، يوم عاصف شعر سليمان فيه بغربة ووحدة لما دق الباب فلم ترد سلوى، وعندما فتح الباب ولم يجدها قادمة خجلى بابتسامتها كإشارة لبدء طقوس الاعتذار لحبيبته قبل أن يجلسا حول المدفأة ليستمتعا بدفء أنفاسهما ودفء القهوة بين أيديهم كرمز موحد للعشق المنثور بين قلوبهما شعر كأن الدنيا خاصمته وهجرته إلى الأبد.

اليوم غير كل يوم، دخل سليمان البيت وقلبه في قدميه وعينيه في صدره وأنفاسه متقطعة لأن سلوى ليست هنا كعادتها المبتسمة، يا ترى ماذا حدث لها؟! هذه أول مرة لا تكون في انتظاري، أين أنتِ مني الآن يا سلوى؟! بلقيس أنتِ في غيابك

وكليوباتـرا ـ في حضـورك، أنـتِ كل النسـاء بـل أحلـى مـا خلـق مـن النسـاء. أشـتاق إليـك الآن أيمـا اشـتياق.

جلـس سـليمان علـى المقعـد الوثيـر، الكتـاب ـ في إحـدى يديـه والقصاصـة بيـده الأخـرى، حـان الوقـت يـا سـليمان أن تقـرأ القصاصـة لتـرى مـاذا هنـاك مـن كلمـات لسـلوى؟! ارتـدى نظـارة القـراءة علـى مهـل وهـو يتلكـع ـ في نفسـه عـن عمـد، أضـاء مصبـاح القـراءة وبـدأ يقـرأ أول الكلمـات؛ عزيـزي سـليمان.

ومـا إن قـرأ كلمـة عزيـزي حتـى توقـف ولـم يشـأ أن يكمـل القـراءة مخافـة مـن باقـي الكلمـات، اغرورقـت عينـا سـليمان بدمـوع الأسـى كـرد فعـل لقراءتـه كلمـة عزيـزي، بدايـة غيـر مشـجعة يـا سـليمان، أول مـرة تناديـكَ سـلوى بعزيـزي بعـد أن كانـت تناديـك كل المـرات بحبيبـي، شـيء مـا مؤكـد هنـاك، سـلوى ليسـت هنـا، وتركـت الكتـاب الـذي طلبـت منهـا أن تقـرأه وتركـت قصاصـة ورق بـين صفحاتـه وتناديـني فيهـا بعزيـزي، فـإذا كنـت أنـا عزيزهـا فمـن يكـون حبيبهـا.

مسـح سـليمان دمعاتـه التـي تسـاقطت علـى وجنتيـه دون أن يـدري ووضـع القصاصـة علـى المنضـدة المقابلـة لـه، وكأنـه يبعدهـا عـن عينيـه مـع أنـه يهفـو إلـى قراءتهـا حرفًـا حرفًـا؛ ليعـرف مـاذا

تخبئ لـه ولكنـه وضعهـا بعيـدًا وكأنـه يؤجـل سـاعة الصفـر التـي أحـس بهـا بقـوة كامنـة في قصاصـة الـورق تلـك التـي أصبحـت بالنسـبة لـه صنـدوق أسـود يتشـوق أن يعـرف مـا بداخلـه ولكنـه مـن شـدة حبـه لسـلوى يتـردد.

يجـب أن أقـرأ أولاً الصفحـات التـي تركـت سـلوى بينهمـا قصاصـة الـورق، مـن يـدري لعـل في هـذه الصفحـات شـيئًا جعلهـا تتـرك القصاصـة بينهمـا عـن عمـد، تحـدث سـليمان مـع نفسـه وكأنـه يختلـق الأعـذار التـي تؤجـل قراءتـه لقصاصـة الـورق. فتـح صفحـة خمسـين وبـدأ يقـرأ بتمعـن ووبطء السـطور التـي كتبهـا مـن بنـاة أفـكاره كلمـة كلمـة وكأنـه يقرأهـا لأول مـرة وهـي كلماتـه.

مـن يـراه يقـرأ يظـن أنـه يبحـث عـن شـخص مختبـئ بـين السـطور، نعـم هـو يبحـث عـن سـلوى، قـرأ الصفحتـين ولكنـه لـم يسـتطع أن يجـد شـيئًا يربـط بينـه وبـين القصاصـة وغيـاب سـلوى.

وفجـأة لاحـظ سـليمان كلمـات قصيـرة مكتوبـة بقلـم الرصـاص بخـط سـلوى علـى هامـش الصفحـة، ارتعشـت يـد سـليمان واتسـعت مقلتـاه واحمـر وجهـه لمجـرد أن رأى آثـار سـلوى علـى صفحـات الكتـاب، آه يـا سـلوى ومـن كلماتـك التـي أود أن أقبـل حروفهـا اشـتياقًا إليـكِ. هـا أنـتِ كنـتِ تقرئـين كلمـات كتابـي سـيدتي، فلمـاذا

هجـرتِ كتابـي ورحلـتِ، ولمـاذا كتبـتِ قصاصـة الـورق، ومـاذا كتبـتِ مـن كلمـات ثـم رحلـتِ؟!

ذهبـت نظـرات سـليمان تتفحـص كلمـات سـلوى علـى الهامـش واقتـرب رويـدًا رويـدًا حتـى وقـع بصـره علـى الكلمـات فتسـمرت عينـاه هنـاك وكأنـه عثـر علـى كنـز مـن الحـب والعشـق المهجـور. كتبـت سـلوى: «الديـار لا تهجـر أصحابهـا ولكـن أصحابهـا هـم مـن يهجرونهـا حتـى ولـو سـكنوها، قـد تهجـر الأرواح الديـار وتبقـى الأجسـاد، وقـد تهجـر الأجسـاد وتبقـى الأرواح بالديـار، وأنـت يـا سـليمان قـد هجـرت روحـك الـدار وبقـي جسـدك حولـي، وأمـا أنـا يـا سـليمان فسـوف يهجـر جسـدي الـدار لتبقـى روحـي هنـا وهنـاك في كل مـكان».

كتبـت سـلوى هـذه الكلمـات بجـوار السـطور التـي كتـب فيهـا سـليمان: «الديـار التـي تملؤهـا الذكريـات هـي كالإنسـان، تتألـم وتبكـي لفـراق الأحبـة وتفـرح وتسـعد عندمـا تحـل روح الأحبـاب، فالديـار هـي المغناطيـس الـذي يجـذب قلـوب المحبـين ليلتقـوا علـى دفء الأنفـاس ليبـدل بـرد الشـتاء بربيـع الحـب والمشـاعر الحانيـة».

آه يـا سـلوى مـن كلماتـك الموجعـة، أنـا لـم أهجـر الـدار ولـن تهجرنـي أبـدًا الديـار طالمـا أنـتِ هنـا وهنـاك، تعالـي يـا سـلوى

بجسدك ليرتد إليَّ روحك هنا، فروحي هنا تبحث عنك في كل مكان.

شعر سليمان أن سلوى قررت هجرة الدار والرحيل بعيدًا عنه. ولكنه مازال يمنِّي نفسه أن كلماتها توحي بالهجران ومجرد العتاب واللوم لجذب انتباهه بأن يضبط بصلة روحه على جسده بالدار كما كان ليلتئم الشمل. ومازال قلب سليمان معلقًا بقصاصة الورقة هناك على المنضدة ليقرأها ويعرف ما بها من نهاية.

حانت ساعة الصفر وتوجهت عينا سليمان إلى المنضدة الصغيرة والتي تمثل له الآن منضدة بطول سنوات العمر، منضدة سوف تسيل عليها دماء حبه، منضدة سوف ينطق عليها الحكم عليه إما بإعدام هواه شنقًا أوالإفراج مع كفالة يدفعها للحبيب الذي يتمناه يأتي ولو دفع عمره كله كفالة لبسمة صافية من شفتيها.

اتجه سليمان ناحية المنضدة وانحنى ليلتقط قصاصة الورق التي فيها حكمه، انحنى وأمسك بالورقة وقلبه يرتجف وعقله يرتعد، وجسده ينتفض وجبينه يتصبب عرقًا، فهذه أول المرات التي يجد نفسه محكومًا عليه من سلوى، حكمًا قد يكون مؤبدًا وتضيع منه أعوام العمر كالزبد.

أمسـك سـليمان القصاصـة وهـم واقفًـا فهـو لا يسـتطيع قراءتهـا وهـو هـادئ البـال. وقـف وأغمـض عينيـه ليفتحهمـا مـرة واحـدة ليقـرأ قـرار حكمـه بنفسـه. فتـح سـليمان الورقـة وقـرأ: عزيـزي سـليمان، قـرأت روايتـك التـي أعجبتنـي كثيـرًا ثـم توقفـت لأنـي أردت أن أعـرف إذا كانـت الديـار حقًـا تبكـي لفـراق أهلهـا كمـا وصفـت أنـت في روايتـك، فقـررت الرحيـل لكـي تخبرنـي أنـت يومًـا مـا إذا كانـت دارنـا قـد بكـت علـى رحيلـي، والـدار هنـا هـي أنـت يـا سـليمان.

هنـا تأكـد لسـليمان أن سـلوى قـررت الرحيـل فانسـابت دموعـه الحبيسـة دون أن يـدري كالنهـر علـى خديـه بتلقائية المحب العاشـق حتـى بللـت الدمـوع قصاصتـه، ومـا أن قلبهـا علـى الجانـب الآخـر حتـى وجـد عبـارة هـي أجمـل الكلمـات «تركـت الديـار سـليمان وأنـا أحبـك حـب كل العشـاق».

لـم يصـدق سـليمان وهـو يقـرأ تلـك الكلمـات وكأن مـداد الحـب مـن كل العالـم تجمـع ونمـا في حروفهـا فتحولـت دمـوع حزنـه إلـى دمـوع فـرح كبيـر لـم يفـق منهـا إلا علـى دقـات بـاب داره فهـرول يفتـح البـاب وهـو في نشـوة يتمناهـا لقـاء.

كانـت سـلوى أمـام البـاب ضاحكـة مشـرقة وتحمـل بـين يديهـا

هديـة لسـليمان وقبلـة مـن شـفتيها وحضـن عميـق لا ينتهـي وهـو واقـف غيـر مصـدق لمـا بـين يديـه فقـد كانـت المـرة الأولـى التـي يكون هـو منتظـر وتكون سـلوى هـي القادمـة بهديتهـا إليـه ولكنـه لا يحتـاج منهـا أي اعتـذار كمـا تعـود هـو أن يفعـل عندمـا يـدق البـاب وتفتـح لـه، هـي لا تعتـذر لأنهـا سـلوى، سـلوى القلـب المشـتاق.

ضـم سـليمان سـلوى في حضنـه والقصاصـة مـا زالـت في إحدى يديـه وهديـة سـلوى في يـده الأخـرى، وكانـت هديتهـا نمـوذج لـدار هـي نفـس الـدار التـي تجمعهـم وللأبـد، أخـذ حبيبتـه إلـى مقعدهـا الوثيـر وجلس هـو علـى مقعـده المقابـل وأخـذ يقـرأ لهـا روايتـه وهـي تنظـر وتنصـت كأنـه ابنهـا الوحيد .

●●●

سحر الأحلام

«وقد ترقص الأحلام في طرقات من الشجن ، وتراقصها الأمنيات في حياء علي أنغام من مزامير الخجل ... ويستمر الرقص بلا نهاية حتي يسكر ويتيه الأمل ...»

بفعل حلم الليل الجميل الملآن بالتفاؤل، فتح عينيه بسعادة غمرت روحه وانعكست على انفراجة شفتيه بابتسامة رائعة متفائلة تملأ الحياة، أنهى أعمال صباحه بروح طائرة على جناح من السعادة، يتعامل مع كل شيء يلمسه من أدوات المطبخ وزي اليوم وحقيبة العمل ومقبض الباب وكأنه يعزف على بيانو بأنامل محلقة في سماء يومه المشرق.

آثر أن يتجنب المصعد اليوم ليرقص على درجات السلم بنشوة عقله وقلبه التي غمرت جسده الرشيق، ومع آخر درجة ومع رؤية شعاع الشمس المترامي على أطراف حارته، ملأ صدره بشهيق معطر بمسك جاره صاحب العطور.

وبنظرة أمل مشى في الحارة صوب المحطة ليبدأ مشوار اليوم بروح جديدة، ولأنها ليست كعادته.

تعجب الناس من ابتسامته التي لم تفارق شفتيه طوال اليوم، سألته زميلته المدللة، ما أحلى ابتسامة التفاؤل ملء شفتيك ولكن ما السر الكبير؟!

رد بابتسامة ضاحكة: مجرد حلم جميل ملأني بالتفاؤل.
قالت: ومن يدري لعل الحلم يصبح حقيقة بين يديك.

رد بنشوة تتراقص على شفتيه، هو الآن بين يدي.

●●●

الحب الذي كان

«إذا كان الحب حالة تعبيرية عن الإحتياج لمشاعر الآخر ، فإن العشق هو حالة من الرقي العاطفي لأدبيات المشاعر الصادقة من الآخر ...»

ما إن رآها في الصالة في طريقها لمكتبها حتى توقف سامح محييًّا إياها بابتسامته الصدوقة، إزيك يا هند، أخبار يومك إيه النهاردة؟

ردت هند التحية بكلمات قليلة تكاد تكون مقتضبة وملوحة بطرف رأسها، والابتسامة تملأ خديها والضحكة تختبئ وراء عينيها، أنا تمام سامح. كيفك إنت النهاردة؟ اندهش سامح من رد هند المقتضب مع أنه يرى وجهها وكأنه وجه أخر مُلئ بملامح مختلفة عن كل يوم حيث تعود أن يسمع منها قصيدة صباحية من الأخبار السريعة عن أعمالها وعن خطة اليوم في اللقاءات والاجتماعات.

يا ترى ماذا جرى لكِ يا هند؟! كيف يمتلئ وجهك بالفرحة الهادئة هكذا وفي نفس الوقت لا تتحدثين كثيرًا ككل يوم؟! هل أنتِ على ما يرام يا هند؟!

نعـم، نعـم، سـامح لا تشـغل بالـك، أنـا في أحسـن حالاتـي، تستطيع أن تطلـب منـي أي أعمـال اليـوم وسـوف أنهيهـا لـك علـى أكمـل وجـه لـم تـره مـن قبـل.

تعجـب سـامح، وابتسـم وتركهـا وهـو يفكـر برأسـه التـي لا تخلـو كل شـهر مـن حـب جديـد ومغامـرة نسـائية سـاخنة ولكـن خـارج إطـار العمـل، يـا تـرى يـا هنـد مـن مـس قلبـك الرهيـف هـذا الـذي لـم يطـأه قلـب أخـر قبـل اليـوم حتـى دون أن تعبئـي بأعوامـك الثمانيـة والعشـرين. مـن يـدري لعلـي مخطـأ، ولكنـي أتمنـى ألا أكـون، فكـم تمنيـت لهـا حبًـا جارفًـا يقتلـع شـجرة الحـب الرومانسـي التـي تتمـدد بقلبهـا ولا تجـد مـن يرعاهـا ويقلمهـا، وكأنهـا قـرأت أفكاره، طأطأت هند رأسـها في خجل وابتسـمت في نفسـها ومشـت الهوينـة إلـى مكتبهـا ويداهـا متربعـة علـى صدرهـا تحتضـن آمـال العمـر القادمـة مـع حبيبهـا فـؤاد الـذي هبـط بمظلـة حبـه مـن سـماء العشق.

أحبـت هنـد فـؤاد حبًـا كبيـرًا، حبًـا بـلا عيـون ولا آذان، حبًـا كلـه شـوق لصوتـه ولوعـة لبعـاده، حبًـا يصمـت إذا تكلـم حبيبهـا، ويتكلـم في أي لحظـة تمـر عينـاه بعينيهـا ولـو بـدون قصـد، وكأن هـذا الحـب مفتـاح كهربـاء للغـة اللسـان والعـين والأذن، لـم تـدرِ

هند بمشاعرها وهي تنمو على ضفاف قلبها وتتمدد حتى شكل دوحة مملوءة بثمار حلوة المذاق، ثمار ملآنة ببذور الحب الضاحك، دوحة وارفة تظلل حرور حبها الذي زاد وازداد حتى ملك عليها قلبها وجوارحها ورق له قلبها حتى أصبحت نبضات قلبها الرهيفة توجعها.

تحولت حياة هند من مجرد مديرة مكتب الوزير ذو السلطة والجاه تنظم له أموره الصغيرة والكبيرة بإتقان ودقة متناهية جعلتها تنسى أمورها الشخصية وأوامر قلبها في البحث عن حالة حب تعيشها كما تعيش كل بنات سنها. ولكنها لم تأبه بأوامر قلبها وعصته عن عمد حتى طاق بها وهدأ من دقاته لعلها تصاب بضيق في تنفس الحب فتستمع إلى أوامره يومًا ما، ولكن هند لم تصب أبدًا بضيق تنفس الحب هذا، وظنت أنها خلقت لتحسد المحبين على حبهم، وتبتسم لشكواهم التي لا تنتهي.

قابلت هند الكثير من الشباب بحكم عملها حيث يتردد عليها وجهاء القوم وأغنياءهم وبحكم عائلتها الأصيلة والشباب الذي كم تمنى كل واحد منهما أن ينال من قلبها وعيونها ليظفر بروحها الجذابة وابتسامتها الحنونة ووجهها المشرق وكلماتها

العذبـة النقيـة الضاحكـة وطموحهـا الـذي يزينـه كبريـاء الأنوثـة الطاغيـة، وبرغم كل تلك الإغـراءات الذكوريـة التـي تتبختـر حولها، إلا أن هنـد لـم تفتـح أقفـال قلبهـا الموصـدة لأي قلـب ممـا جعـل الجميـع يندهـش فـكل مـن حولهـا يمثـل حلمًـا لكثيـر مـن البنـات الجميـلات. ولكـن هنـد لـم تعبـأ إلا بجمـال القلـب وعنفـوان العقـل الـذي قـد يمتلـك مفاتيـح أقفـال قلبهـا يومًـا مـا.

وهـي في طريقهـا لاجتمـاع مهـم رأتـه هنـد قادمًـا في صالـة الشـركة، رجـل في الأربعينـات مملـوء بالحيويـة والرشـاقة والرجولـة والهنـدام وجاذبيـة البسـمة الهادئـة والعيـون المتحدثـة في صمـت. وكأن الحـب قـدر ولـو علـى سـلالم العمـر التـي تهبـط بالمحبـين وتصعـد بهـم كيفمـا تشـاء، تسـمرت هنـد في مكانهـا وكأنهـا الروبوت الـذي تعطـل عـن المسـير، وكذلـك هـو، توقـف وتسـمرت عينـاه علـى عينيهـا التـي تحولـت إلـى كاميـرا بانورامـا تلتقـط صـورًا لـكل ملامحـه وكأنـه العالـم كلـه وقـد توقـف بـين يديهـا، وبعـد أن أجمعـت قواهـا النفسـية والجسـدية التـي كانـت قـد تبعثـرت تحـت قدميـه وحـول ابتسـاماته الهادئـة، أهـلاً بحضرتـك، يـا تـرى ممكـن أقـدم أي مسـاعدة، سـألته هنـد وهـي تتمنـى أن يطلـب كل المسـاعدات فقـد تحسسـت لديـه كل مفاتيـح أقفـال قلبهـا الغـض رغـم سـنواته الأربعينيـة.

أهـلاً بحضرتـك، نعـم بالتأكيـد أحتـاج إليـكِ. وقـد كان الحـب الـذي لـم يكـن مـن قبـل، حـب ولقـاءات عاشـتها هنـد في سـعادة بالغـة وكأن الحـب جمع ثيابـه مـن علـى أحبـال العمـر ليلبسـها هنـد أثوابًـا مـن فـوق أثـواب حتـى أصبحـت ملامحهـا حـب وجسـدها حـب وأنفاسـها حـب لفـؤاد، واتفقـا علـى الـزواج، زواج القلبـين والعقلـين بشـهود مـن شـذا أنفاسـهما الحانيـة.

نسـي فـؤاد أوتناسـى أمـر زوجتـه وأولاده، فقـد غمـره حـب هنـد بميـاه العشـق الجاريـة في بحـور الـدلال والصـب ولوعـة الاشـتياق. وحتـى هنـد لـم تعبـأ كثيـرًا لمـا علمـت بأنهـا سـوف تكـون الزوجـة الثانيـة في العـدد فيكفيهـا أن تكـون لـه الأولـى في القلـب والعقـل، ويكفـي أن فـؤاد يغمرهـا بحبـه ليـلاً وصباحًـا، شـروقًا وغروبًـا، حبًـا متدفقًـا مـن شـلالات قلبـه التـي لا ينضـب نبعهـا.

وحـان وقـت العـرس، وكانـت الترتيبـات خيـال يبحـث عـن أرض ليرسـو عليهـا ويولـد واقـع لا ينتهـي، ودعـت هنـد وفـؤاد كل الأحبـة علـى زفـاف الحـب الـذي ولـد وسـط طُرقـات العمـل وطَرقـات القلـوب المتعطشـة للعشـق، جلسـت هنـد بـين صديقاتهـا وأهلهـا تنتظـر فـؤاد يهـل عليهـا بعيونـه الصافيـة وصوتـه العميـق، ولكنـه لـم يـأتِ وانتظـرت ولـم يـأتِ.

اندهشت هند وزاغت عيناها وكلها خوف أن يكون قد ألم مكروه بفؤاد الذي لم يتأخر مطلقًا عن ميعاده معها منذ أن تقابلا في منتصف صالة الاستقبال منذ العامين ، ولكنه لم يأتِ، وأتى والدها ليخبرها أن فؤاد في المستشفى منذ الصباح الباكر، انزعجت هند وقبل أن تنهمر دموعها خوفًا عليه، أخبرها والدها أنه هناك ينتظر مولوده الثالث من زوجته التي تعلقت بتلابيب ذكرياته فلم يستطع أن يجذب تلابيبه وتركها بين يديها تلتحف بها جسد مولوده الذي كان ينتظره منذ أعوام هي عمر حب هند الذي كان.

تجمدت الدموع في عيني هند والتي لم تسقط مرة أخرى حتى الآن، وهكذا أصبحت هند بلا عنوان، عنوان ما زال يبحث عنه كثير من الرجال ولكن بلا جدوى.

●●●

تنهيدة عشق

«وتعشق العيون السهر ، ويعشق النوم الجفون ، ويطول بالعين السهاد ، فيحل النوم ويرحل السهر ... ويبقي الناس بين سهاد ونوم وسهر ...»

عندما توقف عوني عند عمود الإنارة ينظر في ساعة يده ليتأكد أنه جاء في الوقت المحدد، وجد نور آتية من بعد وعلى خجل. يا لها من طاقة من النور تتبختر في الهواء كما تشاء ويتقطر منها عبيرها فيخجل منها الهواء ويترك لها الكون كله تتبختر فيه دون أن تدري.

آه منك يا نور، لا تعطيني الفرصة أبدًا لكي أهندم نفسي وأستعد بكل حواسي الجسدية والنفسية للقياكِ. دائمًا تأتي على الموعد يا نور، ودائمًا تسبقك ابتسامتك الراقية التي لو كان بيدي لجعلتها مُقررًا على الزوجات ليتعلموها ولجعلتها روشتة علاج لفقراء المشاعر وقليلي الحيلة في البسمات، ولجعلتها طابع بريد يُخَلد أرق البسمات، آه منك يا نور، لست أدري كيف وقعتِ في حبي وأنا الذي تمنيتك بكل حواسي أن تكوني لي دون غيري ولكن كان القدر أقوى مني ومنكِ، تقابلت مع زوجتي قبل أن أرى نورك وحلو ابتسامتك وعُلُو روحك.

فجأة، أفاق عوني على صوت صديقه وخليله محمود الذي يعرف قصته مع نور وطالما ينصحه أن يبتعد عنها وأن ينسج شباك جديدة ويعطيها لزوجته وصال دون أن تدري لعلها توقعه هي في شباكها إن كانت حبال وخيوط شباكها قد ذابت بفعل عوامل التعرية الزوجية طوال الخمس سنوات الماضية وهي عمر زواجهما، أوينسج عوني نفسه شباكًا لزوجته وصال لعله يوقعها في حبه من جديد.

أهلاً محمود، ماذا جاء بك إلى هنا في هذا الوقت المتأخر؟!

جئت إليك صديقي اللدود لكي أثنيك ولآخر مرة عن نور التي أظلمت حياة زوجتك وأم ابنك جميل.

كيف يا محمود وهي لا تعرف علاقتي بنور؟ هل جننت وقصصت لها حكاية عشقي معها؟

بالطبع لا يا عوني، ولكن الأنثى ترى أنفاس الأنثى الأخرى متعلقة بأنفاس زوجها حتى ولو غاص في مياه الأنهار العذبة ومياه البحار المالحة ليتخلص من لمسة أوهمسة أوشهيق حب أوزفير تنهيدة، الأنثى يا عوني جلدها خُلِق من زئبق ينكمش ويتمدد على هيئة ترمومتر المشاعر والغيرة ليقيس خيانة الزوج دون أن يشعر.

أتراهـا تعلـم بحبـي وعشـقي لنـور يـا محمـود، أنـا فكـرت كثيـرًا وقـررت أن أقـص لوصـال كل شـيء بنفسـي لعلهـا تتفهـم حالـة قلبـي الـذي لـم يعـد ينبـض ويـدق إلا في وجـود نـور.

كمـا تشـاء صديقـي ولكـن النـور هـو أعلـى درجـات قمـة النـار، فاحـذر يـا صديقـي فلـو خَفَـتَ النـور فقـد يتحـول إلـى نـار تحـرق القلـب والعقـل.

لا تقلـق يـا محمـود فأنـا حبـي لنـور يشـتد ونورهـا يـزداد حتـى وكأنهـا مخلوقـة مـن نـور. ولكـن أنسـيت يـا صديقـي كـم كنـت تحدثنـي عـن جمـال وصـال، وشـذا وصـال، والخجـل الـذي تقطـره عيـون وصـال، أنسـيت كـم حاولـت معـي أن أخبرهـا بحبـك الدفين؟! وكـم كانـت لـك نجمـة الحـب في السـماء التـي تتمنـى أن يصلهـا شـعاع عينيـك لتبصـر حسـنها؟! أتذكـر يـا محمـود كل ذلـك وأكثـر وأتذكـر كـم كنـت أشـعر أنـي فـارس الحـب عندمـا رق قلـب وصـال وفتحـت بابـه لدقـات حبـي ولكـن لسـت أدري كيـف وقعـت في عشـق نـور مـع أنـي مـا زلـت أحـب وصـال! هـو الحـب والعشـق يـا صديقـي، والعشـق أعلـى درجـة مـن الحـب وهـو ليـس لـه أسـباب ولا زمـان ولا مـكان.

حسنًا عوني سأتركك الآن فقد دنت نور ولم تعد إلا بضع أمتار لتتمكن منك. نعم يا صديقي، اقتربت وحولها نورها يفسح لها ظلمة الليل الساكن، لكم أعشق ظلمة الليل وسكونه عندما تهل نور، لتكون هي نهاري وليلي أتسكع فيهما في شوارع حبها الساخن كيفما أشاء، أترى يا محمود كم هي جميلة؟! أترى كم تتبختر في خطوتها في دلال مع أني لا أتبين بعد وجهها الذي سكنته الشمس!! أترى تأثير محياها على قلبي الذي أصبحت كل خلية فيه تدق الآن شوقًا حتى يلمس كفها كفي ككل مرة نتقابل ونتعانق بالبسمات والهمسات، أترى يا محمود كم هي فاتنة؟! وكم هي عاشقة لي؟! وكم هي مفتونة بي؟! إنها الجمال الذي قرر أن يهجر كل الناس ليحط بين كفي وعيني، أرى يا عوني، ولكن كيف تشعر بذلك وأنت لم تتبين ملامحها بعد؟! فالظلام يخفي وجهها يا صديقي، انتظر حتى تراها ليكون وصفك من قلبك وعينيك.

لا أحتاج أن أراها يا صديقي لكي أشعر بنورها، فيكفيني طيف ثيابها ورسم خيالها في ضوء القمر، كان الله في عونك على حُبِّك، حب زوجتك وعشق نور التي لا تعلم عن حبك شيئًا، احترس من النور يا صديقي، آه، يا نور، قلبي كاد أن يتوقف من العشق المجنون وأنتِ تقتربين مني، كم أتلهف لألامس طرف طرحتك عن

خديك وأزيحهما على جانبي وجهك ليتسع لي العالم الممتد في روحك الرائعة وملامحك الطفولية الحانية، اقتربي حبيبتي اقتربي.

ودنت على استحياء وكلها دلال تحبسه في أنفاسها، وكلها عشق محموم في وجهها الذي يختبئ في صدرها، وكلها اشتياق لوجه عوني وملامحه حين يشهق عندما يرى عينيها الناعستين.

وتنهد عوني تنهيدة العشق، ومد يده كناسك يتحسس محراب الجمال، وهم براحة كفيه ليزيح طرف طرحتها التي انسدلت على شواطئ وجهها الحنون، ونظر بعينيه الحالمتين في عينيها، فرفعت عيناها في تؤدة تجاه عينيه من تحت ثوبها الفضفاض الذي تعمدت أن يغطيها كناسكة للحب الممنوع.

نظر محمود إلى عينيها ليفاجأ وصال تنظر في عينيه وكلها اشتياق إلى صهد زفير ملامحه من هول المفاجأة.

وشهق عوني شهقة أطفأت نور العشق فيه ليُظهر شهقة حب لا يشعر به الآن، وضم وصال إلى صدره وعينيه معلقة على محمود الذي لم ينتظر طويلاً حتى لينسج عوني شباك الحب بيديه، فنسجها بنفسه هذه المرة دون أن يستأذنه.

لـوح محمـود بيديـه ضاحـكًا تـاركًا وصـال ترفـل ﻓﻲ حبهـا المشـروط بـين يـديّ عونـي الـذي غـاب عنـه العشـق.

●●●

مشاعر على المعاش

«المشاعر موصل جيد للحب ، تتمدد بالسعادة وتنكمش بالاحزان ولا تتأثر بالعمر ولها ميعاد ووقت وان طال بها الأمد ....»

ما أغرب هذا العصر بما فيه من تكنولوجيا جعلت المشاعر مجرد كلمات يطلق عليها الحب اللاسلكي من خلال محادثات الفيسبوك وغيرها من وسائل التواصل الاجتماعي، أي اجتماعيات تلك التي تختبئ وراء شاشات الكمبيوتر والتليفونات والآيباد، حدث أستاذ رفيق ذلك في نفسه بامتعاض وهو ينظر إلى ابنه وهو جالس أمام شاشة الكمبيوتر يتحدث مع زملائه ومن يدري فمن المحتمل أن تكون من بينها حبيبته دون أن أدري، دلف أستاذ رفيق من باب الشقة وقفل الباب وراءه دون أن يحيي ابنه وليد الغارق في المحادثة، وكالعادة توجه إلى معشوقته القهوة ليتسامر مع الأصحاب حتى منتصف الليل ليعود ليجد وليد في مكانه على شاشة الكمبيوتر.

أخيرًا خرج والدي ليتركني أتحدث بصوت عال وبلا حرج، وحشتيني سارة، اشتقت إليكِ جداً، ولكن أنت لا تعرفني يا وليد، أشك في اشتياقك وحبك الذي يبدو أنه يزداد دون أن

تراني حتى الآن، نعم سارة، أحببت كلماتك المفخخة بالمشاعر التي فجرت حبي العاشق، وأحببت صوتك الذي أذاب ثلج مشاعري فسالت على جدران قلبي وتكثفت هناك من جراء صهد مشاعري. وماذا عنكِ يا سارة؟ ماذا هناك في قلبك؟

لكم أخبرتك حبيبي بدوائر ضغط حبي العالية التي تُبَث منها في كل الاتجاهات أمواج قلبي المحملة باشتياقي لرؤيا عينيك، وكم أُسقى من نفس كأس الاشتياق! ولكن كيف نرتب المقابلة ووالدي ووالدتك ضد التعارف في صالونات الفيسبوك، دعنا نفكر ونتحايل، ولنأتِ بخطة يرتاح إليها كل منهما.

أهلاً أستاذ توفيق، كيف حال الطقس معك اليوم؟ الطقس بارد كالعادة يا صديقي مع أننا في عز الصيف، فالوحدة تجعل من الجسد والنفس ثلاجة للمشاعر الدفينة التي صدأت من عدم استعمالها لفترة طويلة.

يا أخ وفيق لطالما طلبت منك أكثر من مرة التفكير الجدي في الزواج بعد وفاة زوجتك خاصة أنك قاربت على الستين وأنت في حاجة إلى أنفاس حارة توشوش لك أسرار الليل وتدغدغ مشاعرك وتنسيك وحدتك وتملأ عليك فراغك العاطفي خاصة وأنت تشتكي دومًا من انشغال وليد ابنك ليلاً في التحدث لأصدقائه على الفيسبوك.

معك الحق تمامًا يا صديقي ولكن من أين لي بهذه الأنفاس وأنا من العمل إلى البيت ثم إلى هنا ولا هناك مجال للتعارف على رفيقة دربي الباقي.

ولماذا لا تقلد ابنك وليد وتتعلم الفيسبوك وتتحدث مع من هناك لعلك تختار شريكة حياتك.

انزعج جدًا وفيق من هذا الاقتراح، كيف تنصحني بعمل شيء أنا ضده تمامًا بل أحاربه في بيتي لدرجة أني لم أعد أتحدث كثيرًا مع وليد بسبب ذلك.

الحب يا صديقي لا يأتي إلا من العيون والأذن وليس من مجرد كلمات على الهواء، هذا عبث لا يغني ولا يسمن من جوع.

عمومًا لا تغضب مني وفيق أنا فقط كنت أمزح ولك ما تريد، دعنا نتلذذ باحتساء القهوة فقد بردت ودعنا نتحدث عن الماضي وذكرياته فهو الباقي لنا ولعل القلب يرتاح.

أهلاً والدي الحبيب، تأخرت وكنت أتمنى أن أتحدث معك عن آخر أخباري العاطفية وجديتي في الارتباط بفتاتي سارة.

أنا كلي عجب يا وليد كيف تنوي الارتباط بإنسانة لم تراها بعد؟! بل كل ما تعرفه عنها هو من هذا البرنامج المسمى بالفيسبوك وما به من تحايلات وصور وشخصيات كاذبة.

أبـي الحبيـب، معـك الحـق ﴾ كل مـا تقـول وهـو موجـود بالفعـل ولكـن أيضًـا هنـاك أنـاس نتوقـع أنهـم صادقـون. يـا وليـد أنـا أتمنـى أن أفـرح بـك ولكـن علـى الطريقـة المتعـارف عليهـا والآمنـة. الفيسـبوك يـا والـدي حاليًـا هـو زواج الصالونـات الحديـث الـذي تسـتطيع مـن خلالـه معرفـة الكثيـر مـن المعلومـات عـن الأمـر دون إحـراج أوتكلفـة.

أنا ما زلت مصرًا على رأيي يا وليد ويؤسفني ذلك.

هنـا بـدأ وليـد ﴾ تنفيـذ خطتـه التـي اتفـق عليهـا مـع سـارة قبـل أن يقفـل الموضـوع مـع والـده.

معـك حـق يـا والـدي، سـوف أثنـي الفكـرة عـن ذهنـي وأبحـث عـن فتـاة أحلامـي عـن طريـق المعـارف أوالصالونـات وعليـك أن تسـاعدني ﴾ اختيـار عـروس فأنـا علـى عجالـة مـن أمـري لكـي أسـتقر وعمومًـا سـوف أخبـر سـارة بذلـك وأيضًـا أمهـا طنـط رغـدة التـي قـررت أن تسـتخدم الفيسـبوك هـي الأخـرى للتعـرف علـى رفيـق حيـاة. معقـول، أمهـا هـي الأخـرى، وهـل مـدام رغـدة مطلقـة أم أرملـة يـا وليـد؟؟

نعـم، هـي أرملـة منـذ سـنوات وبـدأت حديثًـا ﴾ اسـتخدام الفيسـبوك ﴾ التعـارف والدردشـة لعـل وعسـى تجـد الشـخص المناسـب بعـد شـعورها بالوحـدة واحتمـال ارتبـاط سـارة.

اندهش أستاذ وفيق من تصرف والدة سارة مع أنه لم يرها بعد وتساءل في نفسه، ولم لا أنا أيضًا، فإذا كانت هي السيدة وتفكر بهذه الطريقة فلأفعل مثلها فأنا أيضًا شديد الاحتياج إلى شريك حياة.

أنا لا أقصد أبدًا يا وليد أن أقف أمام رغباتك ولكن يجب التأكد ممن يستحق هذه الرغبات.

بدا على ملامح أستاذ وفيق نجاح خطة سارة ووليد، فانشرح صدر وليد وساعده ذلك في الاستمرار في تنفيذ الخطة.

لو أحببت بابا ممكن تتواصل مع سارة لتتأكد من شخصيتها وما تريد من معلومات عنها.

فكرة رائعة وليد حبيبي، ولكن أنا لا أعرف كيف أستخدم الفيسبوك فمعلوماتي عن الكمبيوتر كمعلوماتك عن عبده الحامولي.

ضحك وليد وقهقه على دعابة والده ثم أتبع ضحكته برغبته في تعليم والده هذه التكنولوجيا الرائعة.

ولما لا يا أبي العزيز، أنا جاهز لك من الآن.

وتعلم أستاذ وفيق كيف يستخدم الفيسبوك من صفحة وليد نفسه وتعلم كيف يتواصل كتابة مع سارة. ولما علمت سارة

بذلك غمرتها السعادة خاصة وأنها قد أنهت الجزء الثاني من الخطة مع مامتها كما فعل وليد مع والده تمامًا مع الفارق أن والدة سارة تستخدم الفيسبوك بمهارة إلا أنها كانت أيضًا تريد أن تتواصل مع والد وليد ولم تكن تدري كيف؟؟

تواصل الاثنان وفيق ورغدة مع سارة ووليد بغرض معرفة معلومات. وكثرت الأحاديث والدردشة من عم وفيق الذي سعد جدًا بالفيسبوك وأصبح مدمنًا له لدرجة أنه أصبح بديلاً له عن الذهاب إلى القهوة كل مساء، واستمتعت مدام رغدة هي الأخرى بالحديث مع وليد الذي لم تكن تعرف عنه الكثير قبل اليوم. وهكذا نجحت الخطة كما رسمها وليد وسارة وتحدث وفيق إلى سارة ووجدها أحلى من قطع السكر المعقود، وتحدثت رغدة إلى وليد ووجدته في فكره وحبه للحياة أعلى من أشجار الصنوبر التي تعشقها.

نجحت الخطة ولم يبقَ إلا اللقاء المنتظر بين رفيق ورغدة ليحددوا علاقة سارة ووليد على أمل الارتباط. تحدد الميعاد ليتقابل الأربعة كل على حسب نيته. وعند اللقاء تعلق قلب الأب رفيق بالأم رغدة والذي ذاب قلبها في رجولة رفيق وهما لا يعرفان لماذا كل هذا الحب الخفي ولم يعرفا كيف يفصحا عنه الآن وقبل ضياع الفرص.

وفيق: مدام رغدة، أنا معجب جداً بشخصية سارة وأتمناها لابني الوحيد ويشرفني الارتباط بأسرتكم.

رغدة: يشرفني ويسعدني أستاذ رفيق فأنا أيضًا أحببت وليد جداً.

وفيق: وقد أعجبت جدًا بشخصك أيضًا مدام رغدة.

رغدة في خجل: وشخصك هو الأجمل.

هنا أسرع وليد وسارة بفرحتهما الطاغية لقبول الآباء بارتباطهما، ثم فجرا المفاجأة الكبرى، فقد كان الحديث على الفيسبوك بترتيب من الأولاد بين الأب رفيق والأم رغدة وليس بين سارة ووليد.

وقد كانت تلك هي الخطة الكبرى التي رسمها الأولاد ليتحول الخلاف الفكري بين رفيق ورغدة إلى وفاق ثم إلى حب كبير.

وقد كان، انتصر الفيسبوك وفازت مشاعره بالأولاد والآباء.

●●●

نظرات شهيقها زفير

"الحب حالة تنفس بان شهيق وزفير المشاعر ...»

ما إن دقت الساعة الثانية حتى قام بلهفة بلملمة أشيائه وجرى مسرعًا ليوقع الانصراف حتى يلحق بطابور الموظفين والموظفات ليمارس هوايته المفضلة في النظر مرة خلسة ومرة بتمعن إلى عيونهن لعله يفوز برضاء إحداهن ولو في خيالاته.

تفحص الطابور المبعثر هنا وهناك فكل في عجل هائم إلى حاله.

وعن بعد هناك وقعت عينيه على مبتغاه، سيدة بقوام ممشوق تمشي في ثبات وثقة قاصدة هدفها في عباءة تغطي معظم جسدها الذي خطف قلبه وجعله يدق كعصفور.

وعن بعد تمنى أن ينال رضاها فقد أعجب بهذه الثقة وبهذا الثبات والاتزان المغلف بالاحتشام.

أسرع خطاه ليلحق بها وليتبين ملامحها لعله يفوز بنظرة مختلفة عن النظرات التي فاز بها من قبل.

ورويدًا رويدًا اقترب من السيدة وأسرع وأسرع ليتعدى

خطاها ويفوز بجوارها، أخيرًا، نجح في اللحاق بها وتعداها ثم تلكأ ورمى بعينيه خلسة على عينيها.

وفجأة، تسمرت عيناه وشهق شهقة كلها زفير كتمه في صدره وقلبه وتنفسه عقله، فقد كانت سيدته.

●●●

خيانة الانتظار

«الخيانة نار تشتعل في صناديق من الثقة ظننا انها أوصدت وأحكمت ثقوبها فانبعثت كبركان تصدعت بزلزلته جدران قلوب كان بريقها لامعا فتاكلت وصدأت ...»

بعد أن اطمأنت أن الأولاد الثلاثة خلدوا للنوم جلست سميرة في الشرفة تنتظر معاذ الذي تأخر كعادته فالساعة الآن قد تجاوزت العاشرة مساءً، تقوقعت بداخل المعطف الذي التحفته ليحميها من قسوة البرد الذي هيمن على هواء المكان وكان البرد هو الأخر اتفق مع معاذ على تعذيبها كل ليلة من طول الانتظار.

ومع أن سميرة اعتادت أن تسمع نفس الأعذار من معاذ كل يوم ولمدة أربع سنوات منذ زواجهم من عشر سنوات، إلا أنها لم تغير من عادتها في الانتظار وكأنها تستعذب آلامها في انتظاره أوكأنها تعودت على الانتظار حتى أصبح برنامجًا ثابتًا في حياتها اليومية لدرجة أنها لا تعرف ماذا تفعل بالوقت المخصص لهذا البرنامج لو فاجأها معاذ وجاء يوم ما مبكرًا في الميعاد.

ما أقسى الانتظار سواء ﴿ برد الشتاء أوحر الصيف، ولكن تأخذ سميرة من ليالي أيام الصيف الحارة فرصة لجذب انتباه معاذ بهيأتها الصيفية الخفيفة التي تحاول بكل ما اؤتيت من فنون النساء أن تتهيأ له حتى تشعر بأنه لها وحدها دون العالم وأنها سيدته دون أن تتوج سيدة.

أما قوقعة ليالي الشتاء فهي الأقدر من هواء ليال الصيف ﴿ إثبات حرص سميرة على إظهار حبها واهتمامها لمعاذ الذي يشعر بتأنيب الضمير كل مرة يحاول إثنائها عن الانتظار دون جدوى ولا يجد منها إلا إصرارًا على الانتظار بدلال زوجة تذوب حبًا ﴿ حمى صدر زوجها الحاضر الغائب والغائب الحاضر.

عندما يهل عليها بهامته وبذلته حين عودته يتعمد معاذ أن يبدو ﴿ هيئة فارس انتهى لتوه من مبارزة حربية أثبت فيها قوته حتى أصابه الإرهاق فيبدو منهكًا. وبمجرد وصوله يستقبل غرفة النوم ليغير ملابسه حتى تنتهي سميرة من إعداد العشاء ليتناولاه سويًا وعيناه وشفتاه تستدعيان النوم وتستعديان نظرات وكلمات سميرة التي تحمل ﴿ حروفها أمنيات ما وراء الانتظار طوال النهار.

وما أن ينتهي من العشاء حتى يهرع معاذ إلى سريره بجانب سرير سميرة ليرتمي على جنبه ويطلق جسده لنوم مبكر تاركًا

زوجـة معلقـة بـين نـوم وصحيـان، وكالعـادة تمصمـص سـميرة شـفتيها غيـر راضيـة عـن هـذا الإيقـاع الـذي لـم تسـتطع تغييـره علـى الإطـلاق إلا في بعـض الأجـازات ونهايـة الأسـبوع عندمـا تتهيـأ تمامًـا لمعـاذ فـلا يجـد أعـذارًا ولا مفـرًا مـن كسـب ودهـا وإظهـار حبـه الجسـدي وقليـل مـن حنـين العاطفـة الزوجيـة.

وعلـى غيـر العـادة فوجـئ معـاذ بغيـاب سـمير في الشـرفة فاسـتغرب الشـرفة والبيـت وتخيـل أنـه ضـل الطريـق فقـد تعـود علـى يديهـا وهـي تخـرج مـن تحـت المعطـف فرحـة وملوحـة لـه كأنهـا لـم تـره منـذ سـنين. انزعـج معـاذ وتسـابقت قدمـاه في صعـود درجـات السـلم حتـى الـدور الخامـس الـذي تعـود أن يصعـده في تـؤدة وهـدوء وسـميرة تنتظـره علـى البـاب لاسـتقباله بكلمـات زوجـة تهـش عـش الزوجيـة لزوجهـا. دق البـاب ببطء فمـا زال عنـده أمـل في أن تكـون سـميرة مـع الأولاد أوأنهـا تمشـط شـعرها أوتحضـر العشـاء أوأي شـيء جعلهـا تتأخـر عـن موعدهـا في الانتظـار الليلـة.

وبعـد انتظـار علـى البـاب دون أن يسـمع صوتًـا لزوجتـه، فتـح معـاذ البـاب بمفتاحـه الـذي قلمـا أن يسـتخدمه وهـرع إلـى غرفـة النـوم ليجدهـا متقوقعـة في المعطـف وفوقهـا أغطيـة الشـتاء كلهـا والأولاد حولهـا حائـرون لا يعرفـون مـاذا يفعلـون سـوى الإمسـاك

بيديها ووضع قماش مبلل بالماء ككمادات كما أخبرتهم لعل الحرارة التي تملكت جسدها تنطفئ والزيغ الحائر في عيونها يسكن والخفقان المهتز في قلبها يهدأ والدموع اللامعة في مقلتيها تنسحب.

وفي غمرة كل هذا الصراع مع الحرارة والفيروس الذي تسلل إلى جسدها، اندهشت سميرة وهي ترى كل هذا الاهتمام والحنان المفاجئ الذي تعكسه أيدي معاذ وهي تتحسس جسدها بلهفة ونظرات عيونه التي بللتها بوادر دمعات تعاند السقوط وأنفاسه التي تتحدث كلمات لم يقلها وهو يقترب من صدرها ليقول حمدًا لله على السلامة يا سميرة قلبي، ماذا حدث طمئنيني؟ ابتسمت سميرة بعينيها وهي تحدث نفسها ليت هذا الفيروس الحبيب أصابني منذ خمس سنوات لأنال شرف تلك الكلمات.

أنتِ الآن أفضل كثيرًا يا سميرة، حمدًا لله على السلامة وسوف أذهب إلى العمل فقد غبت عنه ثلاثة أيام، ودعت سميرة معاذ عند الباب كعادتها ودعت له بالتوفيق ولم تغلق الباب حتى هبط درجات السلم يالدور الخامس.

ابتسـمت سـميرة ابتسـامة جمعـت فيهـا كل التناقضـات التـي رأتها في زوجها منذ أن لزمت الفراش وكأنه أصبح إنسانًا أخر غيـر الـذي كانـت تنتظـره في الشـرفة طيلـة خمسـة أعـوام.

وبعـد تفكيـر طويـل اقتنعـت أن السـر قـد يكـون في تعـود معـاذ علـى طـول انتظارهـا فلـم يعـد يـرى فيهـا إلا زوجـة منتظـرة عاشـقة لمراسـم الانتظـار والاسـتقبال ونسـي أن يعشـقها هـي ويداعـب حـرور مشـاعرها المنتظـرة والمتدفقـة عنـد لقائـه علـى البـاب، زادت سـميرة في ابتسـامتها وهـي تحـدث نفسـها الآن عرفـت كيـف يكـون عـلاج الانتظـار وحينئـذ قـررت أن يكـون الانتظـار مـن حـظ معـاذ.

كيـف حالـك اليـوم يـا سـميرة، أتمنـى أن تكونـي بخيـر، فلـم أجـدك في انتظـاري بالشـرفة؟

أنـا الآن أفضـل بكثيـر ولا تقلـق علـيَّ فقـد تعافيـت تمامًـا والحمـد لله.

فعـلاً هـذا مـا أراه وأنـا سـعيد بذلـك فقـد كنـت قلقًـا عليـكِ جـدًا حتـى لـوددت لـو كنـت أنـا مكانـك.

شكرًا معاذ، الله يعطيك العافية.

أطلقت سميرة هذه الكلمات من شفتيها كقطع من الشيكولاتة دون أن يتذوقها هو ولكنها هي التي تذوقتها لتنتعش ويغمرها الزهو بأنها أصبحت ليست فقط في بؤرة عينيه ولكن أيضًا في بؤرة مشاعره بسبب توقفها عن الانتظار.

آه يا سميرة، كم وجدتِ الحل سهلاً للاستحواذ على قلب وعقل معاذ الذي لم يعبأ بانتظارك طوال خمس سنوات والآن يتغير ويقترب رويدًا رويدًا من شباك الانتظار .

ومع أن معاذ أصبح يعود إلى البيت على التو بعد انقضاء عمله، إلا أنه وفي معظم الأيام أصبح أمام حقيقة غياب سميرة من البيت فتعجب لذلك ولم يجد تفسيرًا مقنعًا إلا أنها ربما اعتادت أن تخرج في هذا الوقت لشراء مستلزمات البيت، أو لعلها تحتاج إلى تغيير بعد أن ألم بها المرض فجأة.

مؤكد أن هذا التغيير الذي طرأ على معاذ هو نتيجة تأنيب لضميره من إهمال متعمد لي كزوجة منذ خمس سنوات حتى جعل مني الزوجة المنتظرة التي تسهر على راحته مهما كانت درجة إهماله مما جعله يتعود بل يستعذب انتظاري وكأني جارية الانتظار، ولأن الحاجة أم الإحساس، فقد شعر بي فجأة عندما افتقدني، وفقد الانتظار وفقد الاستقبال وفقد الاهتمام وفقد

التقـاء الأسـرة كل مسـاء، نعـم يـا سـميرة هـذه هـي الحيـاة، لكـي يشـعر بك الأخـر يجب أن تشعريه بنفسـك وحاجته إليك قبل أن تشـعريه بحاجتك إليـه. حقًـا لكم كنت كالنهـر الـذي يجـري دائمًـا ليصـب بمائـه في محيـط الغيـر ولا يشـعر بـه المحيـط أبـدًا. ومـن يـدري فمـن المحتمـل أن هـذا المحيـط نفسـه يسـتقبل أنهـارًا أخـرى أويحمـل علـى ظهـره مراكـب تدفعهـا أشـرعة الحـب ومجاديـف الشـباب وأنـا هنـا لا أفعـل إلا صـب المـاء فيـه بـلا جـدوى.

ولكـي تتأكـد مـن هـذه المخـاوف والوسـاوس، قـررت سـميرة مراقبـة تحـركات معـاذ بعـد إنهـاء عملـه حتـى يعـود متأخـرًا إلـى البيـت فارسًـا منهـكًا وأن تمنـع نفسـها مـن انتظـاره في شـرفة الحيـاة وحيـدة، حقًـا إن الحيـاة سُلَّمًا مـن الأحـداث نصعـده ونحـن لا نـدري أي درجـة بالسـلم سـوف ننتهـي إليهـا أوتهبـط بنـا ونحـن نـدوس عليهـا، وهـا قـد كان مرضـي هـو الدرجـة التـي هبطـت بهـا حياتـي إلـى الأرض.

شـهقت سـميرة عندمـا شـاهدت معـاذ وقـت إنهائـه العمـل يتجـه نحـو بـرج مـن الأبـراج السـكنية ولـم تسـتطع تفسـير ذلـك إلا أن هنـاك نهـر أخـر في هـذا البـرج يصـب معـاذ مـاءه في محيطـه بعيـدًا عنهـا.

دارت الدنيا برأس سميرة وقررت أن تذهب وراءه لتتعقبه وتفاجئه بخيانته لها على انتظارها له في شرفة الحياة منذ خمس سنوات، ولكنها ترددت وقررت أن تنتظره حتى يخرج وتعاود المراقبة حتى تتأكد من هذا المصاب، انتظرت سميرة في الكافيتيريا المقابلة للبرج ولم تتحرك عينيها إلا بعد أن رأته خارجًا من البوابة يهندم ملابسه قاصدًا عربته.

ركبت السيارة وراقبته من بعيد حتى وصل إلى البيت ليجد الشرفة بلا سميرة والبيت بلا أضواء ساطعة كما اعتاد كل يوم، وبعد تعمد شراء بعض احتياجات المنزل وصلت سميرة إلى البيت لتجد معاذ يلوح لها بيديه من شرفة الانتظار.

كظمت غيظها ولوحت إليه وصعدت السلم لتجده يستقبلها لدى الباب بالترحاب وقبلة على الجبين، تصنعت ابتسامة حبستها بين شفتيها وردت له قبلة على جبينه ودخلت لتعد العشاء وهي تفكر كيف تراقبه غدًا وكيف تفاجئه بخيانته في عقر داره الجديد لتنهي انتظارها في شرفة حياته إلى الأبد.

أنهت سميرة العشاء وتجمع الأولاد وانسابت كلمات معاذ كالماء الذي لا يجد من يشربه.

لماذا تأخرت اليوم عن ميعادك يا معاذ فقد قلقت عليك كثيرًا؟!

لا تقلق عليَّ يا صديقي فقد ذهبت إلى البيت لأطمئن على الأولاد وسميرة قبل مجيئي إليك.

وهل الجميع بخير؟

نعم، ولكني لم أجد سميرة هناك كعادتها منذ ما يقرب من خمسة أشهر الآن ولست أدري أين تذهب ولا أريد مساءلتها حتى لا تسيء فهمي وظني.

ولكنها يجب أن تعلم كل شيء في حياتك حتى لا تفاجأ وتتحول حياتكما إلى مشاحنات أنت في غنى عنها ومن يدري لعلها تتفهم ما أنت فيه وسبب تأخيرك المتكرر عن البيت، فالنساء رحيمات إذا أردن.

سوف أفكر في الأمر وإن كنت غير راغب في إخبارها فأنا أشفق عليها من صاعقة الخبر.

هيا بنا يا صديقي إلى برنامجنا المعتاد في الدور الرابع حتى ننهيه مبكرا اليوم.

هيا يا عزيزي، أعانك الله على تقلب النساء والزمان ولكن دعني أصنع لك كأسًا من الليمون أولاً لتهدأ أعصاب عقلك وقلبك.

فجـأة كاد البـاب أن ينتفـض مـن شـدة الدقـات القادمـة وكأن شـيئًا حـدث وزلـزل المكان.

جـرى معـاذ نحـو البـاب وصعـق عندمـا وجد أمام عينيه سـميرة والشـرر في عينيهـا وقبضـة يديهـا تقـرع صدرهـا بقـوة صارخـة في وجهـه بقصيـدة مـن الهجـاء والرثـاء والعـداء وهـو واقـف كتمثـال مـن شـمع بـدأ يـذوب مـن حـرارة الموقـف وهـول المفاجـأة.

عبثًـا حـاول أن يهدئهـا ولكنهـا ازدادت في ثورتهـا حتـى سـقط علـى الأرض فارسًـا منهـكًا يلهـث أنفاسـه وعينيـه مثبتـة علـى وجهها يرجوهـا أن تقتـرب إليـه ليقـص لهـا السـر الـذي أخفـاه عنهـا طيلـة الخمـس سـنوات.

لـم تقـرأ سـميرة عينيـه ولـم تقتـرب ولـم تكتـرث بوقعتـه ولـم تسـمع وتصمـت.

وعلـى صـوت هـذه الثـورة العارمـة تـرك صديـق معـاذ مـا بيديـه وجـرى مـن الداخـل ليجـده علـى الأرض وقبضتهـا فـوق صـدره فصـرخ في وجههـا كفـى عـن ضربـك صـدر زوجـك هكـذا فقلبـه كقلـب عصفـور ذبيـح لا يتحمـل حتـى ضربـات نبضـات قلبـه، زوجك يحتضـر مـن ضرباتـك فقـد أنهيـت علـى الأمـل الباقـي الـذي كان ينتظرنـا في الـدور الرابـع.

عن ماذا تتحدث وأنت المشارك في خيانته لي. نعم شاركته في خيانته والآن أعترف لكِ أمام زوجك أنه لم يحب ويعشق سواكِ ولكنه أراد ألا يكون عبئًا عليكِ فقرر ألا يخبرك أبدًا أنه في انتظار موت محتمل في أي وقت، فقد خانه قلبه وتمرد عليه وشنق شرايينه وأوردته وحجراته حتى أصبح يكاد يعمل بلا نبضات أودقات بالحياة.

زوجك مريض بالقلب ولم يكن يأتي هنا إلا ليعود إليك فارس منهك وأنت في انتظاره في شرفة الحياة التي كم كان يعشقها ولا يستطيع ممارستها.

شهقت سميرة وارتمت على صدر معاذ تدلكه لتبعث فيه الحياة، فكم تتمنى الآن أن يعود إليها منهكًا وهي تلتحف معطف الشوق في شرفة الحياة لستقبله ولتجعل منه فارسًا وهي الجواد.

●●●

الأبيض يليق بك

«الذكريات حجر يلقي في مياه الحاضر الراكدة فتهتز موجاته وتتحرك بعيدا باحثة عن جمال الماضي في مستقبل قريب قد لا يأتي ...»

مساء الغد يجب أن أكون في أبهى حلية أمام زوجي وابنتي وأصدقائي فهو عيد ميلادي الذهبي وعيد زواجي الفضي، حدثت سلوى نفسها وهي ترتدي ملابس الخروج بسرعة حتى تتمكن من الوصول إلى محل الأقمشة قبل أن يغلق أبوابه ومن بعده إلى خياطها المفضل الذي طالما حاك لها أبهى الفساتين والأزياء، بالكاد وصلت المحل فألقت بنظرها سريعًا على أنواع وألوان الأقمشة فتوقفت دون أن تدري أمام ثلاث قطع من القماش إحداهما باللون الأبيض والثانية الأسود، الثالثة الأسود المنقط بالأبيض، وما إن وقعت عيناها على هذه الألوان حتى تعلقت بهما وعبثًا حاولت أن تشتري منها الآن ولكن باءت محاولتها بالفشل نظرًا لتأخر الوقت.

لم تدرِ ماذا حدث لقلبها الذي انتفض عندما رأى هذه الألوان ولا لعقلها الذي لاحقته الأفكار من كل جانب حتى عادت

بها إلى الماضي قبل أن تتزوج من رضوان عن قصة حب تحدى بها أهله وأقاربه وأصدقاءه ونفسه، وفي عودتها إلى البيت لم تشأ أن تستقل سيارتها بل أصرت أن تمشي على الرصيف حتى ينهكها المشي فترجع مرة أخرى لتستقل سيارتها، اخترقت أذنيها ذكريات ماضي ما قبل الزواج وهاجت في قلبها وروعت عقلها بعض الأحداث التي تذكرتها وكأنها ماثلة الآن أمامها، تاهت مع هذه الذكريات فتلعثمت خطاها فوقعت على ركبتيها حتى كادت أن تصدمها سيارة توقفت في آخر لحظة على بعد سنتيمترات، نهضت وعدلت من نفسها وما زالت تصر على المشي، الآن أدركت لماذا انقبض قلبها وتهاوت قدماها لما رأت القماش الأسود الذي فكرها بكل الذكريات السيئة التي عاشتها في فترة ما قبل الزواج.

تذكرت زوجها رضوان بملامحه الطيبة وهندامه الأنيق وبسماته التي دائمًا ما تزين وجهه الملائكي خاصة وهو يرتدي البالطو الأبيض عندما قابلته أول مرة في عيادته بوسط البلد، كم كان مهذبًا وأنيقًا ومرتبًا ورجلاً بمعنى الكلمة!! تحولت هذه المقابلة بعد ذلك إلى علاقة حب بعد أن اختارها قلبه من بين السيدات، كم تحول قلبها إلى طفل يحبو في درب الحب عندما لمست أصابعه يديها وعندما سمعت منه كلمات الإعجاب بالرغم

مـن أنـه لا يعـرف عنهـا شـيئًا، شـعرت بـدوران رأسـها وفرحـة في قلبها عندما اعترف لها رضوان بذلك منذ ربع قرن، واحتارت أن تخبـره عـن ماضيها وما فيـه مـن أمـور لـو عرفها لطردها مـن العيـادة ومـن حياتـه، أم تتسـتر علـى نفسـها وتبـدأ صفحـة بيضـاء في كتـاب حياتـه النقـي؟! في تلك اللحظـة قـررت سـلوى، ورضـوان مـازال يطرأهـا بكلمـات الحـب، ألا تتعجـل في الاعتـراف لـه بحقيقـة أمرهـا ولتتـرك ذلـك لمـرة قادمـة.

لـم تنـم ليلتهـا مـن فرحـة سـكنت قلبهـا، فرحـة كثـوب زفـاف أبيـض حاولـت أن تخفـي فيـه ماضيهـا الـذي يتمثـل أمامهـا كليـل أسـود، ومنـذ هـذه الليلـة قـررت سـلوى أن تحـول قضبـان قطـار حياتهـا مـن محطاتـه إلـى قضبـان في اتجـاه محطـة رضـوان الاجتماعيـة التـي ينـزل منهـا ويصعـد إليهـا عالـم آخـر مـن النـاس يعـج برجـال تزينهـم البـدل السـمراء والياقـات البيضـاء ونسـاء معظمهـن كالبـدر في ليلـة قمريـة مـن أسـر عريقـة، وتذكـرت سـلوى كـم كان ذلـك صعبًـا عليهـا وكـم كان رضـوان لهـا المعلـم والأخ والصديـق ولـم يتركهـا حتـى أصبحـت سـلوى هـانم صاحبـة العـزة والثقافـة والمـال.

وفجـأة تذكـرت سـلوى القمـاش الأسـود المنقـط بالأبيـض، آه منـك يـا ذاك القمـاش الأسـود ذي النقـاط البيضـاء، لا أريـد أن أتذكـر لونـك الأسـود فهـو سـاحة الماضـي التـي عشـتها قبـل أن أتلاقـى مـح حبيـب العمـر رضـوان ولكنـي كـم أعشـق فيـك كل نقطـة بيضـاء فهـي درب مـن حـب خالـص ونقـي حفرتـه في قلبـي لحبيبـي رضـوان بعـد أن تقبـل قصتـي حتـى دون أن يسـمعها، تقبلنـي كمـا أنـا أيًا كان أنـا، مـا أجملـه وأعظمـه مـن حـب، ومـا أجمـل وأعظـم منـك يـا رضـوان.

آه منـك يـا ذاك القمـاش، كـم أنـت شـبيه بفتـرة الخطوبـة والعلاقـة الحميمـة التـي نمـت وترعرعـت بـين ضلوعـي ونبتـت في قلبـي بسـتان مـن المشـاعر الفياضـة الحانيـة التـي لـم أعرفهـا مـن قبـل، مشـاعر حبـي لرضـوان الفتـى الـذي عرفـت بعـد ذلـك كـم تهافتـت عليـه الفتيـات مـن أبنـاء العائـلات ذوات الجمـال والمـال والجـاه والسـلطان. إلا أنـه اختارنـي أنـا، بـل أصـر علـيَّ بعـد أن أخبرتـه بقصتـي مـع الحيـاة ومـا آل إليـه دربهـا مـن نـور سـاطع وعائلـة سـعيدة ومسـتقبل مشـرق إلـى ظـلام دامـس وعائلـة مشـردة ومسـتقبل مجهـول ومظلـم مثـل ظلمـة دربهـا.

تذكـرت سـلوى هـذه اللحظـة التـي قـررت أن تقـص فيهـا حكايـة ماضيهـا لرضـوان. اللحظـة التـي حفـرت كل ثانيـة فيهـا درب طويـل

في حياتها وما زالت تمشي وتتبختر في تلك الدروب حتى الآن، اللحظة التي حدثت من ربع قرن عندما أمسك رضوان بيديها المبللة بعرق الخجل ونظر في عينيها بعمق وطبع على شفتيها قبلة ما زالت تسكن خلايا شفتيها حتى الآن، اللحظة التي همس لها بكل حنان وحب ورقة «سلوى لا داعي أن تقصي عليَّ حكايتك في الحياة، ولا تقلقي فلن أتخلى عن حياتي التي وجدتها مهما كانت الحكايات».

تذكرت كم كانت تود أن تخبره بقصتها مع الحياة وما آل إليه دربها من نور ساطع وعائلة سعيدة ومستقبل مشرق إلى ظلام دامس وعائلة مشردة ومستقبل مجهول ومظلم مثل ظلمة دربها، تذكرت كم كانت تتمنى أن تقص له حتى تزيل هذا الهم من على صدرها لتعيش معه كالثوب الأبيض ولكنه أصر ألا يسمع، وتذكرت كيف تساقطت دموعها وزاد خجلها وارتعشت يداها فلم تدرِ إلا وهي في صدره يطبطب على مشاعرها ويهدهد قلقها حتى نامت بين أنفاسه وشعرت أنها كليوباترا القرن الواحد والعشرين وهو قيصر كل العصور.

توقفت سلوى على الكورنيش وألقت نظرة على النيل تناديه، يا نيل، لكم أتمنى أن تطاوعني وتملأ ماؤك بالعطر وتذيب فيها

العنبر لأسقي بها حبيب دربي رضوان ولأجعلك هديتي إليه مدى الحياة، وهي مازالت توشوش النيل، تنهدت سلوى تنهيدة سمعها النيل فوشوش لمياهه أن ترسل بعضًا من ذخاتها لتعطر وجه سلوى التي سافرت بعيدًا في الماضي، وهي ما زالت تنظر إلى النيل بمياهه التي تتحرك ببطء كراقصة باليه في حفلة خاصة، لملمت نفسها ولم تشأ أن تمسح ذخات المياه التي بللت وجنتيها وشعرت كأن النيل يخاطبها ويشعر بقلبها السابح في الماضي وعقلها الذي يحاول أن يحكم بين الحاضر والماضي والمستقبل ويحاول أن يأخذ قرارًا أي لون يختاره ليزين سلوى ويليق بحاضرها، أهو لون الماضي أم الحاضر أم المستقبل؟!

ابتسمت سلوى من هذه المشاعر النيلية وأدركت أن خطواتها أخذتها بعيدًا عن سيارتها فقررت أن تعود مع أنها لم تشعر بالإجهاد بعد ولكنها شعرت أن شيئًا ما بداخلها يريد أن يهرب من الماضي ويجري ناحية الحاضر والمستقبل في عيني رضوان، وبالفعل رجعت سلوى قاصدة سيارتها التي تذكرت فجأة أن لونها أبيض فابتسمت محدثة نفسها، هل يعقل أني لم أدرك قبل اليوم معنى اللون الأبيض في سيارتي ومدلوله في حياتي؟ كيف لم أفكر في هذه العلاقة من قبل وكيف لم أربط من قبل ألوان الأقمشة بألوان حياتي كما فعلت اليوم؟! كم هو

شـعور رائـع أن نربـط أحـداث حياتنـا بالألـوان، فمـا الحيـاة إلا اللـون الأبيـض أوالأسـود أوكلاهمـا أوألـوان الطيـف مجتمعـة، إنهـا ألـوان الحيـاة التـي نراهـا في عيـون الآخـر، وأحمـد الله أن حبيبـي رضـوان زيـن حياتـي باللـون الأبيـض وأزال منهـا كل الأسـود. أحمـد الله أن سـيارتي بيضـاء، كـم هـو انعـكاس رائـع وفـأل طيـب لعلاقتـي الحاليـة مـع رضـوان.

أسـرعت سـلوى الخطـى فلكـم اشـتاقت لسـيارتها البيضـاء كمـا لـم تشـتق إليهـا مـن قبـل، ومـا إن وصلـت حتـى تحسسـتها بيديهـا في كل مـكان وكأنهـا طفلهـا الوحيـد الـذي فقدتـه وسـط الزحـام فـأرادت أن تهدهـد مشـاعره، وبسـرعة ألقـت سـلوى نفسـها في السـيارة وكأنهـا ترتمـي في صـدر رضـوان، كـم أحبـك يـا سـيارتي البيضـاء، كـم أنـتِ جميلـة ونقيـة، وكـم تذكرينـي بعلاقتـي البيضـاء منـذ أن عرفـت رضـوان، تذكـرت كـم كان صعبًـا أن تتحـول حياتهـا مـن اللـون الأسـود إلـى الأبيـض مـرة واحـدة ولكنهـا ملأتهـا بـآلاف النقـاط البيضـاء رويـدًا رويـدًا حتـى أصبحـت حياتهـا ناصعـة البيضـاء ورداء يتزيـن بـه رضـوان بحـب وسـعادة، كـم هـو جميـل أن تكـون لـك الإرادة في تحويـل ألـوان الحيـاة القاتمـة خاصـة إذا كان مـن المسـتحيل شـراء ألـوان الحيـاة.

وهـي تحـدث السـيارة بحبهـا، شـعرت سـلوى بقشـعريرة مـن تيـار حـب يسـري في جسـدها حتـى تكهـرب فسـتانها، فابتسـمت لمـا ألقـت عليـه نظـرة ففوجئـت أن لونـه أسـود الـذي تفضلـه عـن كل الألـوان، زادت ابتسـامتها وتعجبت كيـف لـم يلفت نظرهـا هـذا اللـون مـن قبـل وكيـف أنهـا لـم تربـط حياتهـا مـع رضـوان بحكايـة الألـوان؟! وفجـأة تغيـر مزاجهـا وتكـدرت وانتابتهـا مشـاعر قاتمـة كلـون فسـتانها لمـا تذكـرت أنهـا حتـى الآن وبعـد مـرور ربـع قـرن مـن الزمـان وهـي لـم تقـص لرضـوان بعـد عـن حقيقـة حياتهـا قبـل الـزواج، كيـف لـم أخبـره عـن كل شـيء حتـى ولـو رفـض هـو أن يعـرف؟ كيـف أزعـم أنـه راض بحياتـه وهـو لا يعـرف أي حيـاة كانت؟ نظـرت لنفسـها بفسـتانها الأسـود داخـل سـيارتها البيضـاء فتذكـرت القمـاش الأسـود المنقـط بالأبيـض وأدركـت الآن سـر توقفهـا عنـد هـذه الألـوان وليـس غيرهـا واليـوم بالتحديـد يـوم عيدهـا الفضـي لزواجهـا مـن رضـوان.

قـررت أن يكـون لونهـا المفضـل مـن الآن هـو الأبيـض وليـس الأسـود ولكـن يجـب أن تكـون حياتهـا أيضًـا بيضـاء وليسـت مجـرد نقـاط بيضـاء بخلفيـة سـوداء، حينئـذ قـررت وبـلا تـردد أن تقـص لرضـوان حكايتهـا وأمـام الأولاد حتـى تزيـل هـذا الهـم عـن ثـوب مشـاعرها وحتـى يكـون مـراد علـى علـم بـكل شـيء، أدارت سـيارتها

وقلبها يضطرب وتحركت وهي تنظر على الطريق بالشارع وكأنه الدرب الموصل بين قلبها وقلب رضوان، قادت عربتها مرة مسرعة تريد أن تطويه طيًّا فكم تشتاق الآن لدفء صدر رضوان أكثر من أي يوم مضى ومرة ببطء مخافة من المجهول الذي قررت أن ينتظرها هذا المساء. أسرعت تتخطى كل السيارات حتى خيل إليها أن جميع السيارات تفسح لها الطريق لأنها تعرف حكاية قصتها عن الألوان مع رضوان.

وصلت سلوى المنزل وصعدت السلالم مسرعة وألقت حقيبتها على أول منضدة وأخذت تبحث عن رضوان في كل مكان في البيت حتى وجدته أخيرًا في حجرة النوم يرتدي البدلة البيضاء الأنيقة استعدادًا لعشاء عمل، ابتسمت له وهمست في أذنه: «الأبيض يليق بك حبيبي ولكن دعني ألقي نفسي بفستاني الأسود على صدرك».

ضحك رضوان بنشوة وفتح ذراعيه ليحتوي سلوى بينهما هامسًا في أذنها: «والأسود يليق بك حبيبتي فما أروعه على ملامحك الناصعة البياض».

لما أفاقت سلوى من دفء أحضان رضوان نظرت إلى نفسها في صدره لتجد هذا المزيج بين الأسود والأبيض كدربين ذابا في بعضهما ولكنها ابتسمت بفرحة كتمتها لما رأت أن اللون

الأبيض لبدلة رضوان قد احتواها تمامًا ولكن مازالت هناك خلفية سوداء تريد أن تزيلها تمامًا. سحبت جسدها من على صدر رضوان ونظرت إلى عينيه وقد تملكتها مشاعر تمزق قلبها إربًا ولكن عقلها يريد أن يتحدث حتى ولو ما سوف يقصه ضد رغبات قلبها، نظر إليها رضوان باستغراب، مالك حبيبتي؟! أراكِ مهمومة هل حدث لك مكروه وأنتِ عند الخياط لتحضري فستانك الأبيض؟! أنا بخير رضوان ولكني أريد أن أعترف لك بشيء يوم عيدنا الفضي وكان يجب أن تعرفه منذ ساعة تعارفنا الأولى في عيادتك، ومهما كانت العواقب، لابد أن أخبرك به حتى يكون درب حياتنا ناصع البياض، وما هذا الشيء حبيبتي الذي يقلقل عليكِ مشاعرك هكذا؟ إنها حكاية حياتي قبل أن أعرفك بما فيها من كل ألوان سوداء.

وشفتيه على جبينها ويديها في كفيه ابتسم لها رضوان وطلب منها أن تنتظر بعد أن يعود بعد دقائق، لم تملك سلوى أن تخالف رغبته وانتظرته على أحر من الجمر حتى ودماء عروقه شعرت أن دماءها هربت من جسدها وانسابت على الأرض خجلاً وتوترًا. فوجئت برضوان يدخل عليها وبيده صديقة سلوى التي لم ترها منذ ربع قرن والتي أصر رضوان أن يدعوها لحفل اليوم لتكون مفاجأته الكبرى لها اليوم.

شهقت سلوى لما رأت صديقتها، صديقة الماضي البعيد فكم كانت تشتاق إليها ولكنها كانت تتعمد البعد حتى تهرب من الماضي لتضمن راحة البال لرضوان، لم تدرِ ماذا تفعل ولكن لم تدرِ إلا وهي ترتمي في أحضان صديقتها لتعود بها إلى الزمن الذي تخيلت أنه مات، أمسك رضوان بيد سلوى ووضعها على صدره بحنان بالغ، كما أخبرتك من قبل حبيبتي لا تقلقي فأنتِ الحياة وحياتك هي دربي سواء قبل زواجنا أوبعده، فأنا أعرف كل تفاصيل الماضي الذي أرى البياض فيه ناصعًا، وأنا لا أريد أن أسمع منك إلا كل عيد زواج وأنت طيب، وها هي صديقة دربك لتستعيدا الأيام الخوالي وأنتظرك للاحتفال الكبير في ثوبك الأبيض الجميل.

نظرت سلوى إليه بدلال: «من اليوم لوني المفضل هو الأبيض حبيبي»، أيروق لك هذا؟!

بالطبع حبيبتي، هكذا نكون روحًا واحدة وجسدًا واحدًا ولونًا واحدًا، فقد تعدينا بحبنا مرحلة التوافق والتكامل، نحن الآن في عيد ميلادك الذهبي وعيد زواجنا الفضي نفس واحدة لونها أبيض شفاف. ضحكت سلوى وضحك رضوان وحملها بين يديه كطفلته المدللة وقبلها وتركها مع أعز الصديقات، ارتدت سلوى فستانها الأبيض الذي لم ترتديه

منـذ الأيـام الأولـى للـزواج والـذي بـدت فيـه مليكـة لمليـك ينـام ويصحـو ـ في قلبهـا، حبيبهـا وزوجهـا رضـوان، تهـادت بفسـتانها علـى السـلم وصديقتهـا تحمـل الماضـي وراءهـا ورضـوان وأولادهـا والأهـل والضيـوف ـ في انتظـار صاحبـة العـزة ومليكـة رضـوان. تأبـط رضـوان ذراعهـا ومشـيا يتبختـران وسـط الصفـوف ليحتفـل ٢٥ سـنة حب.

●●●

الحب بالفلاشا والواي فاي

«الحب طائر ريشه من مشاعر ، أعشاشه قلوب المحبين ....

شعر بملل شديد، انتقل من عقله إلى أنامله فتململ القلم وتوقف عن كتابة أفكاره على الوريقات البيضاء التي اكتظت هي الأخرى بالكلمات وأصيبت بتخمة وارتخت حروف الجمل بها ومالت على السطور واستسلمت لنوم عميق. تعجب وتساءل من يشعر بالملل؟! عقله وقلبه وجوارحه أم كلماته وأفكاره؟! تململ من نفسه حتى أن يجيب على هذا التساؤل، وفي محاولة للتغلب على هذا الملل الذي تملك قلبه وعقله وأفكاره وكلماته دفعة واحدة، رجع بكرسيه إلى الوراء ورفع رأسه إلى ناحية السماء وحك رأسه بكفيه ورسم ابتسامة على شفتيه استجمعها من بقايا البسمات بداخله تاركًا خيالاته وأفكاره ترتاح وتهبط على جدران عقله بهدوء لعل توابل الملل ترسو على قاع دماغه. ولكن وللأسف باءت المحاولات بالفشل واستسلم تمامًا لحالة الملل الفكري التي أصابته وظهرت أعراضها عليه جملة واحدة.

ماذا دهاه أن يفعل واليوم هو آخر فرصة لتقديم مشروعه العلمي عن العلاقة بين الفكر الصناعي وفكر العقل الطبيعي،

طُلِب منه هذا المشروع من الجهة السيادية لمقارنة تسلسل الفكر المبني على إمكانية الحاسبات الآلية ببرمجة الأفكار في العقل وذلك بغرض إيجاد تكنولوجيا تستطيع التسجيل والتعامل مع الفكر الكامن والصادر من العقل البشري في حالاته المختلفة، ونظرًا لأنه مهندس اتصالات فقد عكف على المشروع في حماس شديد ولكن ولسبب لا يعلمه انطفأ هذا الحماس اليوم ونام في عقله.

قرر أن ينسى الكتابة وينسى تجميع أفكاره ثم عصرها وترشيحها ونقلها عبر قلمه إلى صفحات وريقاته التي أبت هي الأخرى أن تتعاون معه، وفي خطوة جريئة لم يشأ أن يختبرها قبل اليوم، قرر أن يوصل الفلاشا باللاب والتي ابتكرها لتعمل كواي فاي لتجميع بقايا الكلمات التي تبقى في الهواء بعد محادثات الناس بعضهم ببعض، برمج هذه الفلاشا حتى تعمل كواي فاي لأفكاره هو بحيث يستقبلها اللاب الخاص به من دماغه مباشرة ويقوم بتحميلها على هيئة فايل يستطيع التعامل معه وتنقيحه وإخراجه بصورة نهائية يطبعها ويستخدمها في المراسلات مع الآخرين وبالتالي يستغنى عن حال الحراك الفكري الدماغي عند كتابة أي موضوع.

ارتـاح جـدًا لهـذه الفكـرة حيث أنهـا تمثـل أول محاولـة جـادة لتحميـل أفـكاره علـى الـلاب مباشـرة وفي نفس الوقت سـوف تريحه مـن عنـاء التفكيـر والكتابـة وكحـل لحالـة الملـل الفكـري والكتابـي التـي أصابتـه. وبالفعـل أوصـل الفلاشـا إلـى الـلاب واضطجـع إلـى الـوراء يراقـب العلامـة التـي تؤكـد الاتصـال بشـبكة عقلـه تمامًـا كمـا يحـدث للاتصـال بشـبكة الإنترنـت، ومـا إن رأى العلامـة تشـير بالفعـل إلـى حـدوث التوصيـل حتـى دق قلبـه بعنفـوان متخوفًـا مـن التجربـة وقراءتـه لـكل أفـكار الماضـي والحاضـر والمسـتقبل، ظهـرت لـه أفـكاره علـى هيئـة موجـات فكريـة كثيفـة خاصـة أن البرنامـج الـذي صممـه يسـمح لـه بالبحـث السـريع أوباسـتخدام تباديـل وتوافيـق ليكون البحـث عـن المعلومـة دقيقًـا تمامًـا كمـا يفعـل مـع البحـث في محـرك جوجـل أوياهـو.

اندهـش عندمـا رأى كـم المعلومـات ينسـاب علـى شاشـة الكمبيوتـر أمامـه بعـد أن بحـث عـن مصطلـح «العلاقـة بـين الفكـر الصناعـي وفكـر العقـل الطبيعـي» وهـو المشـروع الذي بصـدد كتابته وتقديمـه اليـوم، تعجـب كيـف لـه أن يحصـل علـى هـذه المعلومات من عقلـه بهـذه البسـاطة مقـروءة أمامـه علـى هيئـة فايـل يسـتطيع أن يعـدل فيـه كمـا يشـاء ليخـرج بالصـورة التـي ترضيـه بعـد تنقيحهـا، تلـذذ جـدًا بهـذه الطريقـة التـي أفـردت أفـكاره أمامـه بمـا فيهـا مـن

شوائب ولخبطة فكرية قبل أن تتحول إلى أفكار نهائية تخرج من دماغه، عندما رأى هذا الكم من المعلومات الغير مرتبة أشفق على عقله فكيف له أن يقوم بهذا العبء الفكري لتنظيم الأفكار العشوائية إلى جمل وعبارات وقرارات ووصف وأهداف ونظريات، وتعجب أكثر عندما رأى أمامه العديد من الأشكال والصور والمعادلات الحسابية في ناتج البحث، شيء عجيب أن يصبح العقل البشري كتابًا مفتوحًا برتوشه ورسوماته وكلماته وكأنه أطلس مصور.

انتعش قلبه وهدأ عقله ونبض قلبه بدقات راقصة ابتهاجًا بنجاحه في التحكم في شبكة أفكاره وانسيابها من دماغه إلى سطوره البيضاء دون أدنى معاناة وكأنها تيار من الماء العذب ينساب من صنبور من الأفكار يستقبلها في إناء من الفكر فيستطيع مرة أن يتحكم في الصنبور ومرة في الإناء وشكله كما يحلو له. بدأ يروح ويجيء على شاشة اللاب بين سطور أفكاره حتى أنهى نقل معظم أجزاء المشروع وحفظها على الديسكتوب ليرتاح قليلاً قبل أن يكمله هذا المساء.

الطقس رائع والسماء صافية والنسمات عليلة والهواء يتهادى على وجنات مريدي الكافيه التي يجلس فيها على

كرسـي ومنضـدة ـ في الفرانـدة الخارجيـة محـاولاً الاسـتمتاع بهـذه اللحظـة الصافيـة ـ في فكرهـا وسـمائها وهوائهـا، ألقـى ببصـره علـى مريـدي الكافيـه والابتسـامات والضحـكات تتناثـر مـن بـين شـفاههم ـ في صفـاء رائـع حسـدهم عليـه. تمشـي ـ في الفرانـدة ليستنشـق بقايـا بسـمات النـاس ـ في الهـواء وخاصـة ـ في ركـن الكافيـه الـذي تسـترخي فيـه بعـض الفتيـات، ابتسـم ـ في نفسـه وهـو يشـعر بفـارق الهـواء الـذي يستنشـقه وهـو يتبختـر بـين الرجـال والفتيـات، فبقايـا كلمـات وبسـمات وضحـكات الفتيـات تنعشـه وتنقلـه إلـى عالـم فـوق الأفـكار عكس هـواء الرجـال المعبـأ بفتـات مـن ضحـكات ليـس لهـا معنـى بـل كلهـا خشـونة واعوجـاج.

ضحـك ـ في نفسـه مـن تلـك الملاحظـة وعـاد إلـى كرسـيه ومنضدتـه ليبـدأ مـن جديـد متمنيًـا أن تقتـرب إحـدى الفتيـات إلـى مكانـه ليشـم ذلـك العبـق الـذي يعيـد حيويتـه إلـى أركان خلايـاه المتوهجـة، وكان محظوظًـا عندمـا نظـر عـن يمينـه ليجـد فتـاة قادمـة ـ في ثـوب كالمـلاك لتجلس قريبًـا منـه ممسـكة كتابًـا ـ في يديهـا، اضطـرب قلبـه مـن ملامحهـا التـي اعتـاد أن يراهـا مـن حـين لآخـر ـ في نفـس الكافيـه، سـعد بالكتـاب الـذي بيدهـا خاصـة عندمـا بـدأت تقـرأ فيـه، وتمنـى أن تبقـى طـوال المسـاء تقـرأ وهـو يختلـس النظـرات إليهـا مـن وقـت لآخـر. ولكنهـا خيبـت ظنـه وأغلقـت

الكتاب بعد دقائق ثم أخرجت اللاب الخاص بها لتبدأ رحلة قد تصيبها بالملل هي الأخرى كما أصابته منذ قليل وتغلب عليها ببرنامجه الجديد.

أوصلت الفتاة الفلاشا باللاب وبرقة كلها عذوبة ودلال غير مصطنع وضعت اللاب أمامها كقطعة شوكولاة تنظر إليها لتتغزل فيها ولا تقضمها، هي نفس الفتاة التي تصادف وراءها كل نهاية أسبوع يأتي فيه إلى هذا المكان الهادئ المطل على أحد شواطئ النيل الذي ينام هناك بمياهه العذبة تحت أقدام قلوب مريدي هذا المكان الأنيق. خطفت بصره من أول وهلة ثم قلبه ثم عقله على مدار شهر كامل لم يستطع أن يعبر لها عن إعجابه ولو بابتسامة أوبكلمة تحية أونظرة حانية، لم يستطع أن يفعل أي من ذلك وكل ما فعله هو مجرد الاقتراب بمنضدته إلى منضدتها واختلاس بعض النظرات من حين لآخر والتي يسحبها فوراً إذا ما وقعت عيناها علي عينيه الخجلى، وككل مرة شعر أن لديه رغبة شديدة في اختلاس النظر والتلذذ بابتسامتها العذبة الراقية المشرقة كطفلة في عامها العشرين.

ولسبب لا يعرفه تملكه شعور جارف ليحدثها ويعترف لها بإعجابه المتزايد ليسمع صوتها الذي يثير المكان شوقًا للحب

بذبذباته الشفافة الأنيقة عمدًا تنادي على النادل لتطلب قهوتها المفضلة، ولكنه لم يستطع أن يحدثها ولم يستطع أن يسحب شعوره الجارف في التحدث إليها والرغبة الحميمة في الاعتراف لها بإعجابه الخجلان، نظر إليها ليتعلم منها كيف يكون التعامل مع اللاب برقة وأناقة وسرعان ما أعاد نظراته إلى مكانه لما شعر أنها لاحظت اختلاسه النظرات، شعرت بالخجل وألقت خجلها بين عينيها على شاشة اللاب هروبًا من عينيه، وهرب هو من عينيها ليصب إعجابه المفاجئ بها في قلبه.

كتم رغبته في قلبه فعقله خارج عن الإرادة الآن لانسيابه أمام عينيه على شاشة اللاب، وفجأة وجد معلومات غريبة تنساب بين السطور المعبأة بالأفكار القادمة من عقله، اندهش لوجود هذه الأفكار المتناثرة فجأة هكذا خاصة أنها غريبة تمامًا عن سياق أفكاره المنسابة ومملوءة بألفاظ وعبارات نسائية. توقف عندها ليقرأها ببطء وهنا كانت المفاجأة فقد كانت أفكارها وخواطرها التي انسابت هي الأخرى من عقلها إلى شاشته بفعل الواي- فاي من فلاشته. تعجب من هذا الحظ التكنولوجي الرائع الذي مكنه من رؤية أفكار المتيم بها ولا يستطيع البوح لها ولو بكلمة خجلاً من جمالها وأناقتها وخجلاً من عدم وجوده في بؤرة شعورها بالرغم من تلقيه

ابتسـامة لطيفـة إذا تلاقـت العينـان صدفـة، قـرر أن يبحـث عـن اسـمه في أفكارهـا فوجـده هنـاك في كل سـطر محاطًـا بكلمـات مـن الإعجـاب الخجـلان وعبـارات مـن الحـب الـذي يتـوارى بـين الكلمـات ولكنـه هنـاك.

انفرجت أسـاريره ومـلأ عينيـه حنـان العالـم وتملك قلبـه حالـة خفقـان لا تنتهـي نوباتها ووجد نفسـه دون أن يـدري يخلـع فلاشـته ويذهـب إليهـا وكأنـه تحـت تأثيـر منوم مغناطيسـي، وبيـد خجلى مد إليهـا الفلاشـا واحمـرار وجهـه يسـبقه وألقـى التحيـة مـع ابتسـامة بعـرض السـماء الصافيـة وطلـب منهـا أن تقبلهـا هديـة فهـي مـن صنـع يـده وتمنـى عليهـا أن تجربهـا الآن علـى الـلاب الخـاص بهـا، اندهشـت مـن جرأتـه هـذا اليـوم ومـن إقدامـه الـذي طالمـا تمنتـه منـذ أن أعجبـت بـه ومـدت يدهـا بخجـل متـورد وشـكرته بعينيهـا التـي تكلمـت دون أن تـدري وأرسـلت كلماتهـا دفعـات إلـى عقلهـا وضختهـا إلـى قلبهـا وأومـأت إليـه بوجههـا المشـرق دلالـة علـى قبولهـا الهديـة، تركهـا وعـاد إلـى منضدتـه وتـرك قلبـه هنـاك علـى منضدتهـا وعقلـه مـع فلاشـته.

وضعـت الفلاشـا في الـلاب اسـتجابة لطلبـه ظنًـا منهـا أنهـا لتصفـح النـت عـن طريـق الـواي فـاي فـإذ بالشـبكة التـي تنتظرهـا

هـي شـبكة أفـكاره وأسـراره التـي تنسـاب كلماتهـا أمـام عينيهـا نهـر مـن المشـاعر الحانيـة تنطـق بمـدى إعجابـه بهـا وحبـه لهـا، وجـدت اسـمها ﴿ كل سـطر، وفي نهايـة كل جملـة تقـرأ اعترافـة «أحبـك». تلعثمـت ونظـرت إليـه بحيـاء وتتدحرجـت مشـاعرها الخجلـى دفعـة واحـدة وهـي تطـل مـن عينيهـا والـدلال يحتويهـا وحركـت شـفتيها بكلمـة «أحبـك»، نبـض عقلـه بدقـات الحـب علـى شاشـتها التـي امتـلأت بكلمـة أحبـك، أحبـك، أحبـك.

لـم تصـدق مـا يحـدث حولهـا وفي نفسـها، كيـف لـه أن يقتحمهـا بحبـه «بالـواي فـاي» ولا يسـتطيع أن يبـوح لهـا بحبـه وهـو علـى بعـد خطـوات منهـا، أكلـه خجـل هكـذا أم هـو الخجـل بعينـه، وكيـف لتكنولوجيـا الـواي فـاي أن تفعـل بـي هكـذا، أتـراه تصفـح أيضًـا أفـكاري هنـاك عنـده في الـلاب كمـا أتصفـح أفـكاره الآن، أتـراه كشـف أسـراري وإعجابـي بـه فشـجعه أن يأتـي إلـيَّ ليعتـرف بحبـه الكامـن في فلاشـته، مـا أحلاهـا مـن مشـاعر، مـا أحـلاه الحـب الصـادق الـذي ينتقـل مـن العقـل مباشـرة كمـا هـو بـدون أي تجميـل، ذاك هـو الحـب الحقيقـي الـذي طالمـا بحثـت عنـه، حـب ينبـع مـن العقـل ويعبـر عنـه القلـب. كـم هـو رائـع أن تقـرأ حبـك بـلا رتـوش في دمـاغ حبيبك.

شعرت وكأنها مليكة على عرش الحب، تلحفت بمشاعرها وتطوقت بدفء تلك اللحظة التاريخية التي استطاعت التكنولوجيا فيها أن تنقل وتعبر عن الحب الصادق واتجهت إليه وقلبها يرقص على نبضات عقله التي مازالت تدق على شاشة حبها لتنقل إليه قوس قزح انعكس على قلبها من وميض حبه، وقف متجهًا نحوها والخجل يسبق ابتسامته ومشاعره تقفز في صدره فرحًا ووقف أمامها كتمثال من الحب الخالص، مدت يدها إليه في حنان دافئ لفه كله فانساب إلى لسانه فأذاب عقدته أخيرًا لينطق بكلمتين تمنى أن يضخ فيهما كل الكلمات التي لم يستطع البوح بها في وقتها «أحبك أنتِ»، طبعت ابتسامة على كلماته وقالت: «وأنا أحببتك».

سحبا الفلاشا من الكمبيوتر وقفلا مشاعر التكنولوجيا ليعيشا أجمل وأصدق قصة حب صادق وبلا رتوش.

قال: هكذا علمتني التكنولوجيا كيف أبوح بأسرار مشاعر الحب ولو في خجل.

قالت: وأنا أعشق فيك الخجل.

●●●

ثأر الحب

دفء المشاعر كأشعة الشمس لا تحتاج شروط لكي تشرق ...

لم يعد أمام عمرو سوى بضع خطوات حتى يصل إلى اللحظة الفاصلة في حياته، اللحظة التي تمناها طوال خمسة أعوام منذ أن أنهى الخدمة العسكرية واستلم وظيفته في الحياة، تمنى هذه اللحظة في أي مكان في العالم ومع أي فتاة بشرط أن يرتاح قلبه إليها وترتاح هي إليه، أحب الحب ولكن لم تَخرج مشاعره أبدًا من حجرات قلبه حتى أنه كان يخاف من أي جرح حتى لا ينزف ويبوح دمه بأسرار حبه التي لا يعلم لمن تدق نبضاتها، ولكن قلبه تعلق هذه المرة بسميرة التي جعلت قلبه يسكن كل جوارحه، لم يُخبئ عنها مشاعره البسيطة تجاه الحب، أخبرها كيف كان كل ما يرجوه هو حبيبة يحبها حتى وإن لم تحبه، فأحبها وأحب ما فوقها وتحتها وحولها.

تعجبت جدًا عندما أخبرها بتصويراته البسيطة هذه تجاه الحب وهو الشاب الوسيم الذي تتمناه أي بنت لو أرادت، ولكنها حمدت الله أن أفكاره عن الحب متواضعة حتى يكون لها، هي التي لم تنم ليلة أن رأت الحب يسكن عينيه والخجل يرقص

على شفتيه تمنت أن يهمس ولو بكلمات قليلة يرسم بها عقداً يزين بها صدرها المضطرب، صدرها الذي كان يرتجف فيعلو ويهبط من ترنح مشاعرها الحانية، فكم من مرة شعرت أن صدرها يحتاج إلى راحة يديه ليهدأ من فوران مشاعرها التي لم تهيج أبداً تحت كل تأثيرات ورغبات وقصائد الشباب لينالوا جمالها الذي يسكن كل لمحة في أثرها.

وتعجب هو كيف لهذا الجمال الذي تباركه السماء والأرض والهواء ويغير منه كل من يراه أن يميل له هو دون الآخرين!! تعجب كيف لهذه الأنثى التي عندما كان يراها يصلي ركعتي شكر إلى الله أن أعطاه الفرصة ليقابلها وعينين ليراها وقلباً ليخفق لمحياها وعقلاً يتيه فيها، ولكنها همست في قلبه أن خيط الحب تَولد في المهد ليسكن طرفاً منه في قلبها المشتاق وطرفه الآخر بقلبه الحنون، هي التي أخبرته بهذا الوصل الرومانسي عندما سألها بطيبته الساكنة في عينيه العميقتين عن سر حبهما. صدقها لأن قلبه بالفعل مربوط بحب بقلبها.

انهالت عليه الأحزان ودارت الدنيا برأسه وزاغت عيناه وهده التفكير والحزن الكامن في مقلتيه عندما تذكر اللحظة التي فجع فيها بخبر قضية الثأر الدفينة بين العائلتين وصيحته

حينئذ هل يعاندني الدهر ويستكثر عليّ حبي؟! ومعه ثقل هذه الخواطر إلا أنه لم يعبأ بها ومصيره في طريقه لا يبالي إلا بحبه وحب من أحبته، فمنذ أن أخبرته عن خيط الحب حتى أصبح يعشق كل الخيوط وتمنى أن يغزل من مشاعره ألف خيط وخيط ليصنع منها أثوابًا من حب ترتديها مشاعر سميرة الدافئة، ويصنع منها ثوب كفنه ليقدمه لأهلها لو قبلوه، ولكن قطعت العائلتان كل الخيوط التي غزلها بحبه ورجولته وتفوقه وشهامته وعلمه وإخلاصه ووسامته وإصراره على حبه، وقد كان قراره في ألا يقطع حبل الوصال مع حبيبة القلب وحب العمر.

تدفقت كل هذه المشاعر في عقل ووجدان عمرو وهو يسابق الخطى لبيت سميرة وعقله ممزق بين رفض أسرته القاطع والإصرار القائم من عائلة سميرة على الثأر النائم منذ سنين، فجأة ودون أن يدري وجد عمرو جسده أمام الباب وتسمرت قدماه على عتبة بيتها وتسمرت يداه بلفافة بيضاء تمنى وصلى أن يقبلوها، دق الجرس ودق قلبه وتشبثت عيناه على الباب ينتظر محياها ولو لآخر مرة في حياته، انفتح الباب ليجد وراءه مفاجأة العمر، ابتسامة والده وعباءته الخضراء على كتف حماه.

●●●

زحمة مشاعر

... أيقفز من شباك نفسه وأسوارها ليرتمي علي شاطئ الحياة ... أم يرفع معوله ليحطم مشاعره بنصله الحاد ...

لماذا كل هذا الضجيج في صدري؟ قالها هشام في نفسه وصدره منقبض كأنه يتصعد في السماء فهو لم يعد يحتمل كل هذا الزحام في قلبه والضوضاء في عقله الذي كاد يجن من كثرة سماع صخب الأصوات تهزه بداخله وكأن قنبلة كلامية انفجرت في قلبه وتناثرت شظاياها بأنحاء جسده، لا يدري إلى أين يهرب وكيف يهرب من كل هذا الضجيج وزحام المشاعر الذي يملأه عن أخره؟ تمزقت أضلعه من شدة اضطراب ذكريات الماضي وصراعها مع الحاضر ومحاولة اختفائها من المستقبل. فلا هو راض عن ماضيه الذي كان يعيشه أميرًا متوجًا بحصاد نجاحاته التي هجرها فجأة تحت وطأة الاحتياج بل الاجتياح العاطفي لينزاح بعيدًا عن هذه النجاحات وعن إمارته إلى عالم الحاضر الذي ظن أن يجد في آمانيه العذاب ولكنه لم يجد إلا سرابًا في بحر هائج تتقاذفه أمواجه العاتية من شد وجذر حتى مزقته إربًا.

ماذا يفعل هشام وسط زخم المشاعر هذا؟ أيقفز من شباك

نفسه وأسوارها ليرتمي على شاطئ الحياة ليبدأ عمرًا جديدًا؟ أم يرفع معوله الذي اعتاد أن يخبئه هناك في ركن بعيد بنفسه مخافة أن يستعمله ويحطم مشاعره بنصله الحاد. أم يشرب هذا السائل السحري الذي اشترى تركيبته معه من الخارج وطوره كصيدلي ماهر ليجمد كل مشاعره أوجزء منها حيثما وأينما يريد، لم يشأ هشام أن يلقي بنفسه من أسوارها ولا أن يحطم مشاعره بمعوله ولا يجمدها بهذا السائل فقد اكتشف أنه تعود على زحام المشاعر هذا فلم يعد يقدر على البعد عنها مع أنها تؤلمه وتحطم أضلعه وتكاد تجن عقله.

ألقى هشام نفسه في نفسه وتكور في ذاته واستكان لفكره مشلول الإرادة لا يدري ماذا يفعل فلا هو قادر على الهروب ولا هو قادر على تحمل الآلام؟ إنها معادلة الحياة التي تؤرق نومه كل مساء حتى تورمت عيناه وذبلت من السهد والسهر، وهو على هذا الحال، تسلل الليل سريعًا إلى جفونه، وهو في ظل هذا الزحام الفكري اللا إرادي رمى بجسده على سرير الحاضر ونام بلا حراك مسلوب الإرادة تاركًا هواجسه وزحام أفكاره تتلاعب به في أحلامه كيفما تشاء حتى الصباح.

وكما تسلل الليل في المساء، تسلل النهار في الصباح ليرسم لوحة من الأشعة الغير مرئية على وجه هشام الذي يحمل تحت بشرته وفوقها ملامح عمره ذات الخمسين عامًا التي تختبئ في مقلتيه

بعيداً عن أرجوحة العمر التي يتلذذ بركوبها كل من حواليه علواً وهبوطًا في أفق الحياة، انفرجت أسارير هشام عندما شعر بضوء الصبح يغازل عينيه فكم يعشق ساعات النهار التي تأخذه بعيداً عن زحام أفكاره وتشعبها وتصادمها طوال ليل الوحدة الطويل.

أنهى هشام مراسم الصباح التي يعشقها وكأنها طريقة للتشبث بساعات النهار ثم حمل حقيبته الملآنة بأوراق ملفات يوم عمل طويل، أوراق يجد فيها سلواه ويصب فيها طاقة الوحدة الكامنة في قلبه وصراع القرارات التي تنام وتصحو في عقله واستباحت نفسه. وما إن وصل إلى مكتبه حتى جاءه صديقه يشكو من شظف الحياة ولوعتها وزحمة الأفكار والقرارات التي تؤرقه ليل نهار ويطلب النصيحة من هشام الذي يحسده الجميع على ماضيه وحاضره وما ينتظره من مستقبل مشرق.

ابتسم هشام ونظر إلى صاحبه نظرة الحكيم الثاقب وهدوء ظاهره الطمأنينة وباطنه قاع من القلق، ما عليك يا صديقي إلا أن تهجر نفسك الخاوية وتنسى أوتتناسى أسباب الخواء أيًا كانت ولتبدأ صفحة بحياة جديدة تملأها بحبر مداده من حاضر تحبه وتريده أنت ومستقبل ناصع البياض تلونه أنت بأقلامك لترسم لوحة رائعة لحياة جديدة تختارها أنت بعيداً عن صهد الماضي وأوجاعه، فالعمر لا يحتمل الصراعات.

انفرجت أسارير صديقه واحتضنه وشكره وخرج وقلبه مملوءًا بالفرحة من روشتة صديقه وجرى منتشيًا يحلم برسم لوحة حياته بناءً على نصيحة هشام الذي فشلت نفسه في نصح نفسه التي أعيته تقلبات أوجاعها كل مساء، ابتسم هشام وهو ينظر إلى صديقه وتمنى أن تتبدل الأدوار ليسمعه أحد ما هناك لعله يستجيب لنصيحة يتمناها منذ زمن ولعله يهجر حياته المضطربة، ولكن هيهات فلم يسأل هشام النصيحة أحدًا أبدًا ولن يسأل لأنه وببساطة قد استعذب اضطراب الحياة في صدره ونوم الأرق في عينيه.

وهكذا استمر هشام على هذا التمني حتى أماتته فجأة هموم الحياة وحيدًا وتمنى الموت ساعتها أن يستمع هشام للنصح ليسعد بالحياة ولو قصرت، ونفّذ الموت أمر الرحيل على النفس ليترك نفس هشام تخرج وتلقي نفسها من على أسوارها وبلا تردد، ابتسم هشام لنفسه وهو في قشعريرة الموت، الآن جاء وقت الرحيل يا نفس فارفقي بصدري الذي طالما أراد لكِ الرحيل وليس الموت، ورفع هشام أصابعه ليودع نفسه بلا تفكير أوقرارات فقد انتهى وقت التمني.

●●●

الحب والفرص الضائعة

«الرجال لايبكون الدمع ولكن يصنعون مياه وملحه لتسكبه النساء طواعية ....»

تحولت أمسيات الحب إلى ليالي الضجر، وعنفوان المشاعر إلى كلمات واهنة، وتوافق الآمال إلى تراشق وتنافر. وهكذا تحولت قصة حب فريد وسلوى والتي كانت مسار حديث الأهل والأصدقاء والتي تكللت بالزواج إلى حالة حرب من كر وفر لا تنتهي بسبب خلافهما الدائم ورغبة فريد في السيطرة على مقاليد أمور حياة سلوى المعنوية والمادية بالرغم من أنها تسكن قلبه وعقله ولا تغيب أبدًا عن عينيه الزائغتين.

وفي أمسية تراشقات اليوم تصاعد صهداللوم والاتهامات التي يكيلها فريد حتى أحرقت وأهانت مشاعر سلوى فدفعتها إلى ترك العش لعلها تستنشق الهواء بعيدًا لعلها تستطيع الرجوع ومكابدة الحياة في الاستمرار مع صاحب العش. وفي خضم تراشقاته الكلامية وغضبه الجامح الذي عادة ما يتملكه ولا يدري به أثناء انفعاله، أفاق فريد ولم يجد سلوى أمامه. جن جنونه وبحث عنها في كل أرجاء العش فوجد الأولاد مكومين هناك في حالة ذعر ولم يجد سلوى تحيطهم بحضنها.

انزعـج واشـطات غضبًـا كعادتـه وخـرج مسـرعًا هائمًـا علـى وجهـه كالمجنـون يبحـث عنهـا حتـى دون أن يطمئـن علـى حـال الأولاد، قصـد بيت أهلها فلـم يجدهـا هنـاك وسـطهم كالمعتـاد وكمـا يتمنـى، وبـدون اسـتئذان بحـث عنهـا في كل الغـرف بكل أرجـاء البيـت وهـو علـى يقـين أنـه سـوف يجدهـا هنـاك في ركـن مـا في حجرتهـا تبكـي ليربـت علـى كتفيهـا فتهـدأ قبـل أن تعـود معـه متعلقـة بـذراعه صـاغـرة راضيـة، ولكنـه لـم يجدهـا.

اندهـش مـن غيابهـا فاهتـز قلبـه ورفـرف مـن شـعور الوحـدة الـذي انتابـه فجـأة وسـيطر عليـه، امتـدت الرجفـة إلـى كل أطـراف جسـده ولـم يأبـه بـكل مـن رآه ونـادى عليـه مـن أفـراد أسـرتها التـي اسـتقبلته كضيـف اعتـاد الضيافـة، تـرك منـزل أسـرتها هائمًـا علـى وجهـه مـرة أخـرى وشـعور الحسـرة بعـدم وجودهـا يمـلأ قلبـه مختلطًـا بشـعور حـب وحنـين وشـوق وولـع يتدفـق فجـأة إلـى قلبـه كشـلالات نياجـرا تتدحـرج فيهـا مشـاعره ولا يسـتطيع التوقـف ليلتقط أنفاسـه.

اسـتغرب فريـد ذلـك الشـعور المفاجـئ والـذي يحركـه الآن كعاشـق ولهـان يفتقـد حبيبـة العمـر بمجـرد أن أخلفـت طقوسـها ووجودهـا هـذه المـرة، اسـتغرب نفسـه ومشـاعره المتدفقـة لأنـه جـاء

ليكيل لها التهم بالتقصير واللامبالاة ليعلن انتصاره كما تعود كل مرة تغضب منه إلى بيت أهلها فتعود معه مستسلمة دون أن تحاول حتى الدفاع عن نفسها وحقوقها كزوجة خاصة أنها لا تقصر في حقوقه وحقوق أولاده بالرغم من تقصيره البائن الذي يثير غضب أهلها عليه ولكنهم عادة ما يلزمون الصمت ويكظمون الغيظ بسبب صمتها وسكونها أمام ثورته المجنونة خوفًا على بيتها طالما ترغب في ذلك.

استغرب فريد غياب سلوى فهي تعلم أنه يأتي وراءها في كل مرة، ولكنه استغرب أكثر شعوره بحالة تدفق المشاعر وبذاك الفيضان إلى الحنين إليها، شعور لم ينتابه هكذا من قبل، اندهش كيف له أن يشعر بالحنين إليها بالرغم من غضبه الدفين لعدم وجودها، كيف يفسر هذا الشعور المتناقض؟ أهو حنين لحبها ودفء مشاعرها وحنانها أم هو افتقاد للحظة خنوعها التي تعود أن يراها في عيونها الناعسة المحبة؟ لا يدري أيهما ولكنه يؤكد أنه مشتاق إلى وجودها.

تحامل على نفسه ورجع إلى منزل أسرتها ثانية ليسأل عنها ومتى سوف تعود وأين هي ولماذا خرجت دون إذنه وكيف تجرأت على الغياب كل هذه الساعات وأين الأولاد؟! أمطر أهلها

بهـذه الأسـئلة وزيـادة دون أن يخفـي غضبـه وتطايـر الشـرر مـن عينيـه، وبالرغـم مـن حالـة الصـراخ التـي انتابتـه والغضـب المجنـون الـذي يحركـه، لـم يشـأ أحـد مـن أهـل زوجتـه أن يـرد أويعلـق ولاذ الجميـع بالصمـت ناظريـن موقـع أقدامهـم في محاولـة للهـروب مـن أسـئلته التـي لا تتوقـف، وازداد غضبـه ولكـن لـم يحـرك فيهـم سـاكنًا فاسـتغرب الجميـع وبـدأ يشـك أن هنـاك شـيء مـا جلـل قـد حـدث وهـو لا يعلـم عنـه شـيئًا.

تقلبـت الظنـون بـخواطره وسـكن صوتـه وهـدأت يـداه وتدلـت بجانبـه وصـدره يرتفـع ويهبـط مـن القلـق علـى مكـروه قـد يكـون أصابهـا وهـو لا يعلـم، وعبثًـا حـاول أن يعـرف شـيئًا ولكـن بـلا جـدوى فـازداد قلقـه واضطرابـه وتحولـت أسـئلته واسـتجواباته إلـى حالـة اسـتجداء لعلـه يعـرف شـيئًا ولكـن بـلا جـدوى تحـت إصـرار الأهـل علـى عـدم البـوح بـأي أخبـار، هنـا تأكـد لـه أن هنـاك شـيء مـا فـازداد قلقـه واختلـط شـعوره بفقدانهـا يـزداد حتـى كاد يجـن مـن هـوس غيابهـا.

فجـأة تذكـر أنـه تـرك الأولاد بمفردهـم قبـل أن يخـرج مـن بيتـه وهـو في حالـة الهيـاج التـي انتابتـه، قـرر أن يعـود مسـرعًا ليحضـر الأولاد إلـى بيـت أهلهـا لعلـه يسـتطيع تحـت تأثيـر وجودهـم أن يعـرف منهـم الخطـب الـذي سـيطر علـى عقلـه خوفًـا عليهـا، تحـول

قلقـه إلـى حالـة حـب تملكـت جوانحـه حتـى تمنـى ﻓﻲ نفسـه أن يراهـا الآن ولـو للحظـات بـلا أذى.

تـرك فريـد بيـت أهلهـا وخـرج هائمًـا علـى وجهـه وهـو يـكاد يـرى وجههـا ﻓﻲ كل الوجـوه التـي تقابله ويشـعر بأنفاسـها ﻓﻲ هـواء الشـوارع الـذي يتنفسـه ويشـم رائحتهـا ﻓﻲ كل قطعـة بـملابسه وبـروحها تهيـم بـأرجاء روحـه وبـقلبها ينـام ﻓﻲ قلبـه، أسـرع الخطـى ممنيًـا نفسـه أن يجدهـا هنـاك عنـد أحـد مـن أصدقائهـا أويراهـا هائمـة ﻓﻲ شـوارع المدينـة غاضبـة فيعتـذر لهـا عمـا بـدا منـه مـن قسـوة وسـوء معاملـة ويراهـا قادمـة إليـه فاتحـة ذراعيهـا لتضمـه إلـى قلبهـا الطيـب الحنـون، انهالـت علـى خاطـره تلك الأمانـي ولكنه لـم يجدهـا عنـد أحـد مـن أصدقائهـا ولا ﻓﻲ شـوارع المدينـة غاضبـة أوفاتحـة ذراعيهـا كمـا تمنـى. لـم يجـد إلا نفسـه وحيـدًا يتنفـس هـواء الفـراغ الـذي مـلأ رئتيـه فاضطرب وخفق قلبـه خوفًا عليها.

شـعر بقلبـه كفقاعـة أورغـوة صابـون تـكاد تنفجـر وهـو يقفـز درجـات السـلم إلـى بيتـه، تسـاقطت دمعـات سـاخنة مـن مقلتيـه علـى وجنتيـه علـى الذكريـات الجميلـة التـي بـدأت تتـوارد علـى خاطـره وابتسـامة سـلوى يراهـا رؤي العـين تزيـن بريـق شـريط الذكريـات. وكلمـا عـلا درجـة مـن درجـات السـلم كلمـا هبـط قلبـه

في جسده حتى كاد يلامس قدمه. وعند كل درجة تمنى أن يراها ليقبلها ويشي ويعترف إليها بحالة الحب التي تملكته وأذابت قلبه وجعلت منه طفلاً يبحث عن حب وحنان وعطف أم تركت طفلها وحيدًا.

فتح فريد الباب لينادي على أولاده، وما إن فتحه حتى سقط قلبه تمامًا في قدميه فقد كانت سلوى هناك في أبهى زينتها تتوسط الأولاد وعيناها على مقبض الباب باعثة بسمات لفريد كلها دلال وهو يتخطى عتبة الباب بأنفاسه، جرى عليها كالطفل متناسيًا الأولاد وضمها وقبلها وعينيه تفضح حالة الحب التي تنضح من وجنتيه، آآآه حبيبتي أين كنتِ لقد ذبحتِ قلبي كالعصفور، ابتسمت سلوى وأحاطته بقلبها وحضنت أنفاسه، جئت إليك حبيبي وتركت ورائي جبال الغضب.

فرح فريد جدًا بقدوم سلوى وابتسامتها خاصة أن هذه أول مرة تأتي طواعية وبمفردها دون محايلة منه كعادة كل مرة، وما إن هدأت المشاعر وسكنت البسمات حتى بدأ برنامجه المعتاد في الاستجواب عن سبب غضبها وتركها لعش الزوجية، ومع الوقت تسللت حالة الغضب إلى اتهاماته إليها رويدًا رويدًا دون أن يدري حتى حلت تمامًا محل حالة الحب التي كانت تملأه منذ قليل.

جرى الأولاد كالعادة إلى الداخل ليتركوا حالة الهياج تستعر من بابا وحالة الاستغراب والاستهجان من ماما.

لملمت سلوى نفسها كالعصفور المجروح من صقر طائش وتركت البيت في هدوء وبلا رجعة فلم يدرك فريد أنها كانت الفرصة الأخيرة والسكون الذي يأتي قبل الإعصار المدمر.

●●●

سحر المنديل الأبيض

«لحظات السعادة كحبات الخرز ان لم يصنع منها عقد بخيوط من الامل تتناثر في ثري ايام العمر ...»

دكتور لؤي ذو شخصية مرهفة الحس ويتأثر بحلو ومر الكلام كأنه قطعة من الإسفنج يتغير لونها وملمسها حسب ما تمتصه من سوائل، ترضيه وتسعده كلمة حب تجعله يطير حتى عنان السماء وتحزنه وتشتت عقله، كلمة بغض تجعله يغوص حتى الأرض السابعة.

شخصية دكتور لؤي شخصية رجل يبدو في مظهره فارسًا مغوارًا تسكن قلبه قلوب كل الأطفال.

يحاول أن ينجح في عمله حتى أصبحت عيادته ملجأ لمرضى النفوس العليلة المملوءة بهموم الحياة. يأخذ من الكلمات درعًا وسيفًا وماءً لعلاج القلوب والنفوس الحائرة.

تقع كلماته برنين صوته الرخيم على النفس المريضة فترتاح دون علاج حتى أصبحت روح د. لؤي بئرًا ممتلئًا بكلمات من صنعه ومن صنع مرضاه.

أحيانًا يفيض البئر عن الكلمات ولا يستطيع د. لؤي أن يفعل شيئًا سوى التحدث إلى نفسه أوسكرتيرته التي تسمع إليه بإنصات حتى لا يفيض البئر في طيات نفسه فيمرض أويشقى فالثرثرة معها هي خير حل إذا فاض البئر ليظل قلبه مملوءًا بالابتسامة لكل مرضاه.

عندما يخرج د. لؤي كلماته من بئر مشاعره تغلب عليه أحاسيس دفينة تسكن في قطرات العرق التي تنساب على جبينه وما تلبث أن تتدفق على وجهه فتسرع سكرتيرته بتجفيف حبات العرق بمنديله الأبيض الذي تحمله دائمًا من أجل د. لؤي لتعود بمنديل العشق الصامت لتشم المشاعر الذائبة في بقية عرق الحبيب.

يستمد د. لؤي دفء أنفاسه وحلو مشاعره من صديق العمر سليمان الذي اجتمعت في قلبه طيبة كل الطيبين وإخلاص كل المخلصين في العالم، نشأ لؤي وصديق العمر سليمان الذي يعمل في حقل المقاولات سويًّا وتلازما في المدارس ولم تفرقهما الدراسة الجامعية.

لا يمر أسبوع عليهما دون أن يتقابلا ويتسامرا حتى الثمل قبل أن يعود كل منهما إلى بيته ليرمي سليمان أنفاسه في

أحضـان زوجتـه وأولاده علـى عكس لـؤي الـذي لا يجـد ﾟﾟ انتظـاره سـوى الهـواء البـارد بـين جـدران حجرتـه.

اسـتمر الحـال علـى ذلـك سـنين حتـى أصيـب سـليمان بـداء عضـال جعلـه يقضـي نصـف وقتـه عنـد الأطبـاء دون جـدوى حتـى ازدادت حالتـه سـوءًا ولـزم الفـراش ﾟﾟ بيتـه، تعـود لـؤي أن يقضـي معظـم لياليـه مـع سـليمان ليخفـف عنـه ويسـامره محـاولاً اسـتخدام كل مـا تعلمـه مـن طـب نفسـي ومـا اكتسـبه مـن خبـرات أن يسـاعد صديـق العمـر بحـب الحيـاة وﾟﾟ عينيـه الأمـل ﾟﾟ الشـفاء.

نتيجـة لانشـغاله الشـديد مـع مرضـاه لـم يسـتطع د. لـؤي الذهـاب لزيـارة سـليمان أمـس فأحـس بغصـة ﾟﾟ قلبـه لـم تسـتطع سـكرتيرته أن تخفـف عنـه بكلماتهـا أوبمنديلهـا الأبيـض بعـد أن جففـت حبـات العـرق مـن علـى جبينـه الحزيـن.

ومـع أنـه متوقـع، وقـع عليـه خبـر وفـاة صديقـه سـليمان وقـع الصاعقـة فتغيـر لونـه وجـرس كلماتـه وتغيـرت ملامـح وجهـه وكأنـه تحـول إلـى إنسـان أخـر بضغطـة كلمـات قليلـة ولكنهـا ثقيلـة كالجبـال.

فجـأة ارتفعـت درجـة حرارتـه أمـام سـكرتيرته الحسـناء التـي حاولـت تهدئـه بـلا فائـدة، لـم تـدرِ مـاذا تفعـل وهـي تـراه شـاحب

الوجه رأسه تترنح بين يديها وجسده يتمايل كجذع نخلة خاوية، طلبت منه أن تنقله إلى أقرب مستشفى استثماري ولكنه أومأ إليها بالرفض القاطع فسكتت واستمرت في مساعدته على الاتزان. ازدادت درجة الحرارة ارتفاعًا حتى أصبح وجهه قطعة من جمر ووجهه يتصبب سيلاً من العرق الساخن فأخذت المنديل الأبيض من جيبها لتجفف عنه هذا العرق وقلبها يتصبب حبًّا وقلقًا عليه وهو لا يري فيها إلا المنديل الأبيض.

وسط هذه المشاعر المتدفقة شعر د. لؤي بالوحدة بالرغم من أن يد سكرتيرته الحسناء مازالت على جبينه تمسح عرقه الغزير، عاد بذاكرته إلى الوراء عندما قابل حبه الأول وهو طالب في كلية الطب وتذكر الأوقات التي عاش فيها أحلى ذكريات الشباب ولكن الحب احتضر بعد عام من مولده بعد فراق محبوبته المفاجئ للحياة.

ومنذ ذاك الوقت وهو منغلق على حبه الأول رافض أي بوادر حب قد تهب على قلبه من أي اتجاه، شعر د. لؤي بقلبه يتهاوى وروحه تنسحب من جسده بهدوء ولم يعد يشعر إلا بجسده يحتضر ولكنه متشبث بالحياة.

خـواء مـلأ فـراغ نفسـه بسـراب الحيـاة ولا يجـد بداخلـه مـا يتشـبث بـه ويعيـده للحيـاة التـي تأكـد لـه أنهـا تسـتحق أن يعيشـها لنفسـه، ولكـن أيـن لـه مـن ذاك القلـب الـذي ينتشـل قلبـه مـن هـذا الخـواء ؟!

أفـاق د . لـؤي مـن تلـك المشـاعر الخاويـة علـى قشـعريرة وسـلام داخلـي ينبعـث مـن يـد سـكرتيرته التـي طالمـا مـا أبـدت اهتمامهـا بـه وأظهـرت حرصهـا علـى إرضائـه مـن خـلال علامـات لـو كان فهمهـا وقتهـا لعلـم أنـه الحـب وأنهـا القلـب الـذي يهـواه.

أخـذ يدهـا وقبلهـا ووضعهـا علـى قلبـه الـذي ظـن أنـه مـات فوجـده يـدق مرسـلاً دقاتـه إلـى كل أنحـاء جسـده يبعـث فيهـا أسـرار الحيـاة الدافئـة التـي حـرم منهـا سـنوات العمـر كلـه، قبـض بكفيـه علـى الـدفء والحنـين السـاري في يديهـا وتأبطـت هـي أنفاسـه التـي مـلأت جسـده حنينًـا وخرجـا لعـزاء سـليمان وعـزاء العمـر الـذي مضـى تحـت سـتائر المنديـل الأبيـض.

●●●

عيدان القصب

«هناك لحظات في العمر تتولد فجأة كالعمر»

نظـرت إليـه بعينيهـا الحمراويـن مـن جـرّاء دمـوع الأسـى ولـم تسـتطع أن تطيـل النظـر لعينيـه المكسـورتين وجـرت تجـر جلبابهـا المتهالـك نحـو حقـل القصـب الـذي تلجـأ إليـه كلمـا سـقط علـى كتفيهـا وصدرهـا مصيبـة مـن مصائـب الحيـاة التـي تختارهـا بعنايـة فائقـة.

ومـا إن وصلـت إلـى طـرف الحقـل حتـى ألقـت بجسـدهـا الـذي أنهكـه الحـزن والأسـى وقيـظ الظهيـرة والشـمس الحارقـة التـي تتوسـط السـماء علـى الأرض بـين عيـدان القصـب الواقفـة بـلا مبـالاة.

تمنـت في هـذه اللحظـة القاسـية مـن زمـن عمرهـا القصيـر أن يحتضنهـا أحـد مـا حتـى ولـو كان عـود قصـب ولكنهـا لـم تجـد سـوى التـراب تحـت قدميهـا والشـمس الحارقـة فـوق رأسـهـا وعيـدان القصـب حولهـا شـاخصة رؤوسـهـا إلـى السـماء.

جلست القرفصاء وهي مازالت تنتحب وهي تتحسس بأصابعها الرقيقة العرق الذي سال مختلطًا بالدموع على وجنتيها بفعل حرارة مشاعرها وقيظ الشمس وبفعل القلق والأسى الذي يملؤها.

تنهدت تنهيدة عميقة لعلها تهدأ وراحت تمسح الدمع والعرق الذي تخلل شفتيها لتشعر به مالحًا في حلقها كمياه البحر.

أمسكت بأحد عيدان القصب متعجبة كيف كل هذا الملح في حلقي وداخلي والسكر يسكن عيدان القصب حولي.

قطعت عود القصب وقضمت عُقلة منه لتروي حلقومها وروحها بالسكر المعقود الذي طالما تمنته وهو حولها، ابتسمت ونظرت بعيدًا هناك على المكان الذي هربت منه على التو فوجدته مازال واقفًا يترقبها عن بعد.

أمسكت بالنصف الآخر من العود ولوحت له بابتسامتها المسكرة.

وما أن رآها تلوح له حتى جرى نحوها كالطفل فاتحًا ذراعيه لتتلقاه بصدرها الحنون وليضمها هو بصدره الكبير لتلقي رأسها عليه كعود أحلى من كل عيدان القصب.

●●●

الزيجة الثانية عرفي

«شحذ سكين عقله ليكون جاهزا بأفكار تقطع ، وضبط إيقاع نبضات قلبه علي إيقاع الغضب ....»

لم يدرِ شمس بنفسه إلا وهو أمام باب الخروج الزجاجي للشركة، فاغرورقت عيناه بدمعات قليلة جفت في مقلتيه قبل أن تتساقط على وجنتيه، وقف على بعد أقدام من الباب مرة وكله حيرة من أمره ماذا يفعل الآن، مرة يقدم رجل ويهم بالخروج ومرة يؤخرها هروبًا من الخروج من هذا الباب الذي يفصله الآن بين الماضي الذي عاشه بكل واقعه الجميل وأمنياته العراض وبين المستقبل المجهول الذي ينتظره خارج هذا الباب الزجاحي الذي يفتح تلقائيًا بمجرد الوقوف أمامه على بعد مسافة قدم أوقدمين، وفي كل مرة يهم شمس بالخروج ينفتح الباب تلقائيًا ثم ينغلق عندما يتقهقر للخلف.

نظر شمس إلى الباب بتأمل وحيرة، وحدث نفسه أخرج أم أعود، ومع أنه مجرد باب زجاجي إلا أنه يمثل لشمس خط بارليف المانع الذي يجب عليه أن يعبره الآن وللأبد. ولكن مازال التردد يسيطر على شمس وكأنه نفسه أصبح من زجاج قابل

للكسر. أخيرًا، أجمع شمس قواه وقرر الخروج بعد أن أغمض عينيه حتى لا يرى الباب وهو يقفل وراءه يلطمه على خديه وكل جسده.

وما إن اتخذ موقف الهجوم للخروج من هذا الباب الزجاجي الملعون الذي طالما شهد معه الابتسامات العراض والتحيات التي يوزعها على الداخل والخارج وكأنه الفارس المغوار صاحب هذا المكان ومن يعمل فيه، حتى فوجئ بمن ينادي عليه بصوت عال يغلفه ضحكة مملوءة بمعاني كثيرة لا يدركها إلا شمس الآن والآن فقط، إزيك شمس إلى أين أنت ذاهب يا عزيزي؟ هل حان وقت الرحيل؟

نعم د. سمير حان وقت الرحيل، ووقت التغلب على الماضي بكل ما كان فيه. ولكني أجدك واقفًا هكذا منذ دقائق دون حراك، هل أصابك مكروه أوتريد مساعدة؟

لا يا زميلي العزيز، كنت فقط أتأهب للخروج ثم شممت رائحتك قادمة من بعيد ورأيت ضحكتك التي تحمل كل ألوان الطيف والتي تغيرها كيفما وأينما يحلو لك المقام، فقررت أن أنتظرك حتى تخطو الباب إلى الداخل وأخطوه أنا للخارج ليذهب كل منا إلى طريقه.

والابتسامة مازالت معلقة على شفتيه وكأنه يحركها بريموت كنترول، رائع سيدي ولكن طريقي معلوم فماذا عن طريقك أنت بعد أن تتخطى هذا الباب الجميل؟ الباب فعلاً جميل بمن يمر من خلاله فإذا كان هو وسيلة خروجي من هنا فهو أيضًا وسيلة دخولي إلى عالم أخر أكبر وأوسع.

عمومًا أتمنى لك خروجًا محمودًا وسعيًا مشكورًا حتى أراك يومًا ما في مكان ما على ظهر هذه الأرض الواسعة التي تبتلع الهائمين.

ولك كذلك، ومن يدري كيف وأين ومتى اللقاء ومن سيحدد اللقاء؟

لم يعد أمام شمس إلا أن يتخطى الباب الآن على الأقل هروبًا من هذا اللسان السليط والشفاه المتلونة والفكر الانقلابي. وبالفعل خرج شمس بسرعة فائقة قبل أن يسترسل سمير في الحديث.

انغلق الباب وأصبح شمس حرًا في الخارج وسمير يرتع بالداخل يجدد نشاطه مع زبائن له آخرين على قائمة الوجبات التي يتلذذ بطهيها بنفسه على نار الانقلابات الهادئة بلسانه المعسول وشفتيه الملوثتان بأعراض ضحاياه وعينيه اللتان

يرميـان شـباكهما علـى عقـول المجذوبـين مـن رؤسـائه العاشـقين لطعـم وجباتـه البشـرية، خـرج شـمس ونسـي أوتناسـى كل مـن وراء البـاب.

وقـف شـمس خـارج البـاب لا يـدري إلـى أي اتجـاه يسـير، إلـى اليمـين حيـث صديقـه الحميـم د. عمـار الـذي فرقـت بينهمـا انشـغالات الحيـاة أم إلـى اليسـار حيـث زوجتـه وأولاده وباقـي عائلتـه؟

لـم يتـردد كثيـرًا في اتخـاذ اتجـاه اليمـين ليجـد نفسـه بعـد مـا يقـرب مـن سـاعة مـن المشـي المتعمـد أمـام بيـت صديقـه عمـار الـذي لحسـن الحـظ فتـح البـاب بعـد دقـات قليلـة ليجـد شـمس بشـحمه ولحمـه واقفًـا أمامـه في بدلـة سـوداء وقميـص أبيـض يزينـه رابطـة عنـق بلـون رائـع ينـم عـن بسـطة شـمس الماليـة.

أهـلا بـك شـمس، لا أصـدق نفسـي يـا صديقـي أنـك أمامـي الآن، إنهـا مفاجـأة رائعـة بـكل المقاييـس، والأجمـل أن أجـدك بعـد كل هـذه السـنين كمـا أنـت لـم تتغيـر كثيـرًا سـوى هـذا الشـعر الأبيـض الـذي يزيـن وجهـك الهـادئ وملامحـك المقبلـة دائمًـا علـى الحيـاة بنهـم. أشـكرك صديقـي وأسـف علـى تأخيـري وعـدم مجيئـي لرؤيتـك منـذ عامـين.

تفضل ياعزيزي وأهلاً بك في أي وقت بدون أي ميعاد.

قضى شمس وعمار أمسية رائعة ومع أن عمار لمس همسة حزن تقارب الانكسار في كلمات شمس إلا أنه لم يشأ أن يسأله في أول وهلة عن سر هذا الإحساس، وقبل أن يرمي عمار بسؤاله الغير مباشر على شمس ليفهم ماذا هناك، فاجأه شمس بسؤال أربك عقله وسحق صفاء الجلسة الحميمة.

عمار، هل تساعدني في إيجاد عمل أيًا كان هذا العمل ولكن في أقرب وقت ممكن؟

لم يصدق عمار أذنيه وهو يسمع هذا السؤال من شمس الذي وقع عليه كطلقة نارية معبأة بكل المفاجآت.

ماذا حدث شمس، أنا أتابع أخبارك في الجرائد والتلفاز وأعُدّك من كبار الإداريين في سوق المال ورجال الأعمال، هل تهزر معي أم هذا مؤكد سؤال؟! بالفعل هو سؤال عمار، أنا في حاجة لعمل اليوم قبل الغد فقد تركت العمل أوتستطيع أن تقول تخلى عني العمل اليوم.

لا تشغل بالك يا صديقي فسوف أعمل ما بوسعي لإيجاد عمل في أسرع وقت ممكن، فأنت سمعتك ومهارتك تتمناها أي شركة على الأقل لتكون مستشارها المالي.

أرجو هذا يا عمار لأني أشعر بالانكسار.

لا تقلق عزيزي، لا تقلق.

ترك شمس عمار في ساعة متأخرة من الليل على أمل سماع أخبار سارة وعاد إلى أهل بيته دون أن يخبرهم عن الأمر شيئًا، دلف إلى حجرته بهدوء حتى لا تشعر به زوجته نادية التي تنام في حجرة أخرى وكذلك أولاده الأربعة، قلما أن يتلاقى عمار مع أسرته منذ ما يقرب من عامين إلا على العشاء في أيام الأجازات أونهاية الأسبوع، وما إن لمست قدميه أرض غرفته حتى ألقى بجسده في سريره ليتنفس الصعداء بعد هذا اليوم المرير، حاول شمس أن يلقي عقله على جانبه الأيمن وقلبه على جانبه الأيسر لينام في هدوء بعيدًا عن الأفكار التي تهاجمه بسكين البطالة والنفي من وظيفته التي طالما كان يتفاخر بها أمام أصدقائه وأمام زوجته وأقاربه وحتى أولاده ولكن للأسف لم يستطع شمس أن يهدأ فقد شعر بأنه ينام على وسادة من مسامير منذ أن صنعها العالم حتى يومنا هذا، خاف شمس من شماتة زوجته وأهلها ونظرات الشفقة من أولاده والتشفي من أصدقائه، خاف من انكساره وانحنائه أمام الجميع، لم يستطع أن ينام إلا بجرعة منوم قلما كان يتناولها إلا عندما تتكالب

عليه ليلاً مشاغل العمل ومشاريعه وطموحاته، ونام شمس نومًا إكلينيكيًا لم يفق منه إلا مساء اليوم التالي.

امتلأ البيت بحركة دؤوبة وغير عادية من الأم والأولاد، ولم تذهب نادية إلى العمل الذي طالما انقطعت عنه إلا نادرًا بسبب نزلة مرض أوأمر عضال، تحول البيت إلى خلية نحل ملكتها نادية والشغالين هم أولاده أحمد وأدهم ونيروز ونهاد يحاولون أن يصنعوا عسلاً مصفى في كل ركن من أركان البيت. الملكة تدري ماذا تفعل والأولاد لا يدرون السر وراء عدم ذهابهم اليوم للجامعة بأمر من الملكة ومكوثهم في البيت في مساعدتها في ترتيب وتجميل كل شيء بأنفسهم ، وهم قلما أن يفعلا ذلك ولكنهم على أية حال انتابتهم فرحة مكتومة لم يدروا سببها يحوطها قلق لا يخفى لا يدرون سببًا وراءه ولكن انفصال الوالدين يغلف قلقهما بشدة.

وغابت الشمس ورحلت وحلت تباشير المساء وأصبح البيت وكأنه في انتظار حدث ما لا يدري عنه الأولاد شيئًا، ولكن الأم وحدها تعلم، لم تظهر نادية على ملامحها أي علامة للانبساط أوالكآبة قد يستشف الأولاد منها شيئًا، ولكن بدت بملامح جادة التي يسكن في كل ركن فيها الجمال في صمت ووقار مع

ابتسـامات تهـرب مـن ملامحهـا وتتسـكب مـن شـفتيها مـن حـين لآخـر، وأصبـح البيـت وكأنـه بيـت آخـر علـى أهبـة الاسـتعداد لحـدث أوحفـل لا يـدري أحـد مـا هـو إلا الأم ومـن يـدري فقـد يعلمـه أيضًـا الأب النائـم في حجرتـه أعلـى منـذ أمـس كمـا أخبرتهـم ناديـة عنـد الظهيـرة.

تقلـب شـمس في سـريره وفـرك عينيـه ليجـد نفسـه نائمًـا وسـط سـريره في ضـوء الغرفـة الخافـت وعندمـا نظـر إلـى سـاعة الحائـط والتاريـخ أدرك أنـه نـام يومًـا كامـلاً بـلا حـراك، انزعـج شـمس جـدًا عندمـا لـم يجـد أي مكالمـة علـى تليفونـه الـذي طالمـا كان يشـتكي مـن مئـات المكالمـات اليوميـة، عقـد حاجبيـه وذم شـفتيه وألقـى التليفـون بعيـدًا وذهـب ليأخـد حمامًـا ويغيـر ملابسـه ويقصـد صديقـه عمـار لعلـه يجـد أخبـارًا تسـره قبـل أن يقابـل ناديـة والأولاد ويـرى في أعينهـم الشـماتة والشـفقة، وفي قلبـه شـعور الانكسـار وفي عقلـه طعـم الهزيمـة.

سـيطر علـى فكـره كـم واتـت ناديـة فرصـة عمرهـا الآن لتتشـفى فيـه بعـد هـذا الهجـران المتعمـد منـه نتيجـة خطـأ صغيـر منهـا وتأسـفت عليـه، خطـأ وأسـف قـد يسـتخدمه بعـض الأزواج غيـره وسـيلة للاسـتحواذ علـى قلـب وعقـل زوجاتهـم بابتسـامة وقبلـة وحضـن مقابـل الاعتـذار، ولكـن مـلأه الكبـر والهـوى الـذي يبحـث

بهما عن سبب ليتنفس وحيدًا بعيدًا عن أسوار البيت ويعيش طليقًا بين أحضان أرباب العمل الذي صعد فيه إلى النجومية، وغرب شمس عن نادية منذ ذاك الخطأ العابر الذي وقعت فيه وأصبحت العلاقة بينهما ليلاً مظلمًا بالرغم من محاولات نادية المتكررة من إضاءة هذا الليل بأضواء شموع محاولاتها المتكررة ولكن باءت كل المحاولات بالفشل فانطوت على أولادها وجعلت منهم شمسها ونهارها بعيدًا عن ليل شمس المظلم حتى يشاء الله وتتحرر منه.

استغرب شمس من التجديد الذي بدت به غرفته وانتابه نفس الشعور عندما دخل الحمام، كل شيء مختلف، هناك لمسة ما في حجرته، لمسة نسائية جعلت كل شيء يبدو مختلفًا وجميلاً ورائعًا. أسرع وخرج من حجرته ليطل من أعلى على باقي البيت في الطابق الأول ليفاجأ بترتيبات مختلفة ومظهر مختلف ولاحظ الوقار والجمال والأناقة زاهية في كل ركن، استغرب شمس وبدا القلق يسيطر على قلبه وعقله، أتكون نادية قد علمت بما حدث له في العمل وأرادت أن تكون شماتتها مبكرة ومدبرة ومرتبة كما يبدو، أتراها دعت أهلها على العشاء وسط الأولاد وفي وجودي لكي تعلن أمامهم خبر الموسم من تركي للعمل أوطردي منه كيفما يحلو لها؟! لا، لن أترك لها

هـذه الفرصـة كمـا تركـت لهـا الفرصـة مـن قبـل لتخطـئ ثـم تركـت لهـا الفرصـة لكـي تسـتمر في عملهـا حتـى أصبحـت تملـك أشـهر أتيليـه لإكسسـوار وملابـس السـيدات مـن أصحـاب الـذوات حتـى أصبحـت معروفـة بينهـم بمـدام شـمس بـك، لـن أتـرك لهـا هـذه الفرصـة اليـوم كمـا تركتهـا كل مـرة، سـوف أتصـل بسـامح وأدعـوه ليأتـي ليكـون كل شـيء أمامـه ومـن يـدري لعلـي أسـمع منـه خبـرًا سـارًا يعفينـي مـن كل هـذا الـذل والهـوان أمـام أقـرب النـاس.

جـرى شـمس وطلـب سـامح الـذي رد علـى الفـور وأخبـره بأنـه علـم كل شـيء دبرتـه ناديـة اليـوم وأنـه قـادم الآن ليكـون هنـاك، كيـف علـم سـامح؟! ألهـذا الحـد الترتيبـات متقنـة حتـى تسـمح لأهلهـا وأصدقائـي أن تكـون مراسـم الانتقـام أمامهـم؟! ومـن يـدري لعلـي أفاجـأ بأهلـي أيضًـا قادمـون لتكـون الفضيحـة الكبـري، وبسـرعة طلـب أكبـر إخواتـه السـتة الـذي رد عليـه كمـا رد سـامح، وهنـا ألقـى بجسـده مـرة أخـرى وسـط نفسـه يفكـر ولكـن وقـف تفكيـره عنـد حـد الانتقـام وكسـر ذراع كل التدبيـرات، شـحذ سـكين عقلـه ليكـون جاهـزًا بأفـكار تقطـع الشـماتة، وضبـط إيقـاع نبضـات قلبـه علـى إيقـاع الغضـب وانتظـر في غرفتـه حتـى لحظـة المواجهـة التـي لـم يحسـب فيهـا وجـود أولاده ومـدى تأذيهـم ممـا سـوف يحـدث أثنـاء تلـك المواجهـة، ولكنـه فكـر فقـط في لحظـة رد الفعـل ليكـون رد فعلـه الشـمس الحارقـة كمـا تعـود منـذ سـنتين.

سمع جلبة أصوات آتية من الطابق السفلي فانتفض قلبه وعقله عندما سمع اسمه على ألسنة إخواته وسامح، خرج حثيثًا لينظر من شرفة الكريدور وهو يرتدي البدلة السوداء والقميص الأبيض والببيون الأزرق الداكن وكأنه على موعد عمل هام، وما إن طل من الشرفة حثيثًا حتى قابلته عاصفة من أصوات الأولاد والأهل وتتوسطهم نادية وبينهم سامح تردد بعيد ميلاد سعيد شمس. استغرب شمس مما يجري هناك، وحدق بعينيه في الجميع ليتأكد أنه واع وأن ما يرى ليس هلوثة أقراص النوم التي بلعها أمس. ولكنه أفاق على الابتسامات والضحك وتلويح الأيدي بأن ينزل ليحتفلوا بعيد ميلاده الستين وزواجه الثلاثين، عيدان تعودا شمس ونادية أن يحتفلا بهما كل عام وسط الأولاد والأهل والأصدقاء، عيدان تعمد شمس ونادية أن يأتيا سويًا في يوم واحد لما خططا وصمما أن يكون الزواج يوم عيد ميلاد أحدهما وقد كان شمس. وكم ترجم احتفالهما السنوي بعيدي الميلاد والزواج قصة حبهما الرومانسية التي كانت مصدر حسد العزال حتى قبل عامين من الآن.

سحب شمس سكاكين عقله إلى جرابها وضبط إيقاع قلبه على فرحة كان يتمناها منذ عامين طوال، وجرى مسرعًا على السلالم ليفاجأ بنادية قادمة إليه ليتقابلا في منتصف السلم

الـذي بـدا وكأنـه ينتظـر فرحـة زواج، لـم يـدرِ شـمس إلا ويديـه تطـوق خصـر ناديـة التـي ارتمـت برأسـها وصدرهـا في أحضانـه معلنـة استسـلام العاشـقة لزوجهـا وملقيـة صهـد عـذاب الاشـتياق طيلـة العامـين تـذوب بـين شـفتيه أمـام الأولاد والحاضريـن وكأنهمـا مراهقـين تزوجـا بـدون خطوبـة أوعقـد قـران.

مشـى شـمس ناحيـة تورتـة عيـد الميـلاد والـزواج وناديـة بـين ذراعيـه متبخـترًا ومتباهيًـا بحبهـا وبرجولتـه التـي تنـام بـين أنفـاس ناديـة وشـبابه الـذي اسـتيقظ مـن مرقـده لينمـو مـن جديـد بعيـدًا عـن انتقـام أخطـاء الزمـن. أمسـك شـمس بيـد ناديـة ليقطعـا التورتـة الكبيـرة ونـزل بسـكينه رويـدًا رويـدًا وقلبـه يخفـق مـن الفـرح حتـى توقفـت السـكين فجـأة عندمـا وصلـت إلـى منتصـف التورتـة ليفاجـأ بعلبـة أسـطوانية في غايـة الروعـة والجمـال. أمسـكت ناديـة بالعلبـة وأعطتهـا بقبلـة منهـا لشـمس الـذي التقطهـا بقلـب يرتجـف مـن وسـط قبلـة ناديـة وفتحهـا والصمـت عنـوان المكـان إلا مـن موسـيقى عمـر خيـرت الهادئـة الرائعـة ودارت الأيـام.

وبالفعـل دارت الأيـام بـرأس شـمس إلـى ماضـي الزمـن الجميـل وهـو يفتـح العلبـة والتقـط مـا فيهـا وهـو في قمـة إثـارة تغلفهـا ابتسـامة قلقـة تريـد أن تهـدأ علـى شـفتيه، فَـرَدَ شـمس أول

ورقة معقودة بفيونكة زرقاء جميلة وقرأها ليجد مكتوب عليها: « عقد حب- أحبك طوال العمر وأحبك بعد العمر»، التوقيع زوجتك نادية.

و تحت عقد الحب هذا وجد شمس ورقة عقد زواجهما بعمره الثلاثين، انفرجت أسارير شمس وشعر وكأنه يمتطي ظهر طاووس الحب وهو يحيط خصر نادية بإحدى ذراعيه بحنان، والتقط بيده الأخرى الورقة الثانية ليجد فيها عقد شراكة باسمه واسم نادية يعود تاريخه إلى عامين، لم يصدق شمس عينيه فاحتضن نادية بحنان شديد وضمها إليه كطفلة ذات عشرة أعوام، لم يقدر شمس على احتمال ما يرى، فتساقطت دمعات من عيونه لم يرد أن يجففها هو أونادية التي همت بأن تجففها بيديها حتى تكون تلك الدموع المتساقطة رمزًا للاعتذار عن كبريائه الذي أوقف سريان الحب بينه وبين نادية طوال عامين.

وفي وسط هذه الأخبار السعيدة التي ملأت قلبه بالفرحة ليس بعقد الشراكة ولكن بعقد الحب الذي جددته نادية بينهما، اقترب سامح من شمس ليعلن له عروض عمل كمستشار من ثلاث شركات استثمار كبيرة، انتشى شمس وشعر بأنه الآن

الحبيب والزوج والأب والصديق والرجل الذي لم ينكسر ولم تتقطع عنه الأوصال.

وهو يحيطها بذراعيه ويحملها على صدره كطفلته المدللة، سألها شمس كيف ومتى عرفتِ بأمري؟

ردت نادية بابتسامة: أمس ومن تليفون من فاعل خير.

ابتسم شمس برضاء، فعلاً ما أجمله من فاعل خير بابه قلب زجاجي.

وسألته نادية بدلال ولمن كل هذه الأناقة التي ترتديك اليوم حبيبي.

رد شمس والابتسامة تغازل ملامحه وتدغدغ مشاعره، هي لكِ أنتِ وحدك حبيبتي فقلبي كان يشعر اليوم بأنه قادم على حدث كبير منكِ وفي بيتي فتهيأ له جسدي دون أن أدري، لكِ أنتِ وحدك يا صاحبة المشوار الطويل. آسف حبيبتي على أخطائي وعلى نسيان عيد الميلاد وعيد زواجنا، شكرًا جدًا حبيبتي، أحبك جدًا زوجتي.

وقد كان يوم العمر للزيجة الثانية عرفي بدون عقد بين الأولاد والأهل والأصدقاء.

●●●

أميرة تبحث عن أمير

«مهما طال البعاد ومهما طال الأمد ، دوما يعود الحمام الزاجل لداره ...»

ليل الشتاء هذا الموسم قارس البرودة ولكني احتملت الوقوف ببلكونة الصالة الكبيرة لأطل عليها وهي قادمة تغازل الأرض بقدميها تخطو كغزال يقفز من ربوة إلى ربوة وعيناها تملآن الوجود حنينًا، أخيرًا رأيتها من بعيد، عادت بعد أن قتلني القلق عليها فقد تأخرت اليوم ساعتين عن موعد عودتها ولم ترد على مئات المكالمات التليفونية مما جعل القلق يجري ويعوي في صدري كذئب جوعان.

أخيرًا رأتني أميرة فهرولت إليَّ مسرعة وكأنها لا ترى في هذا العالم سوى كفي وصدري، فألقت بيديها في حضن كفي ونامت برأسها على راحة صدري وأغمضت عينيها وغابت عما حوالينا وكأنها ورقة خضراء عصفت بها الريح فجأة فطارت تترنح في هواء الكون حتى سكنت إلى ثرى الأرض، قلت ما الخطب يا أميرة فلم ترد واستكانت إلى السكون الذي لفها فأصبحت كغسق يقاوم الغروب أوشفق يقاوم الشروق، أنابت

دقات قلبي عن ثورة القلق عليها بداخلي ولكني حاولت كتمان فورانها حتى لا تفيق أميرتي من سكونها.

لم تمضِ بضعة دقائق حتى أفاق مريضي مراد من غيبوبة السرحان هذه وأنا جالس على الكرسي المقابل لأريكة الاعتراف في عيادتي النفسية التي افتتحتها حديثًا وسط تهاني الأهل والأصدقاء. حديثك رائع يا مراد ولكن أي فتاة هذه التي كنت تتحدث عنها وجعلتك تغزل الكلمات بخيوط من حنين على نول المشاعر هكذا.

نهض محمود وهو يحتضن العروس التي لا تفارق يديه ويناديها بأميرتي، فتاتي هي بنات أفكاري وأحلامي التي احتلت أسوار عقلي وحجرات قلبي منذ أن صدمتني عربة المشاكل في زحام مظاهرات تحرير العقول من قيود الهموم والبدع والحديث الخاوي من أي معان.

ابتسمت لمراد وقلت أنت أعقل مريض في العالم وأنا أجن طبيب في مصر، الآن تعرفت على أميرتك يا مرادي العزيز التي تخاطب فيها دميتك وتحتضنها كطفل وليد بين ذراعيك.

وفي أمواج فورة المشاعر التي جرت من نيل أفكاري خلعت البالطو الأبيض، الذي كان إهداءً من أعز الأصدقاء بمناسبة

افتتـاح عيادتـي، وأهديتـه لمريضـي مـراد وأخـذت منـه دميتـه واحتضنتها وتبادلنـا الأدوار فقـد أصبحـت أكثـر اشـتياقًا مـن مـراد لـرؤيـة أميرتـي... أميرتـي التـي تبحـث عـن أمير في عيادة نفسـية...

●●●

لقاء على وردة

«حقا ما أجمل من وردة هنا وصحبة هناك. ما أجمل مشاعر الحب وحلاوة الانتظار»

حملت صحبة الورود بين يديها وبعثرت على أوارقها مشاعر قلبها المتورد وكلها شوق لترى وجه من انتظرته طيلة العامين من بعد أخر لقاء بينهما في مطار المشاعر. تفحصت العيون القادمة المتلهفة إلى لقاء القلوب تفتش عن وجه حبيبها بين الجموع ولكنها لم تجد له أثرًا. تعجبت كيف له أن يغيب عن اللقاء الذي عبأت له كل قوى حبها المخزون منذ آخر لقاء.

تلفتت حولها باحثة عن ابتسامته في كل مكان في صالة المطار متمنية من قلبها أن يهديها إلى شعاع قلبه الدافئ الذي تستمد منه الصبر على فراقه حتى يعود إليها بأجنحة حبه المرفرفة حول أنفاسها الساخنة وحرور قلبها الساخنة، اغرورقت عيناها بحبات من الدمع لم تشأ أن تمسحها عن خديها وتركتها تنساب في لحظة تفكر فيه فهي لا تريد أن تطفئ لهيب الشوق إليه حتى ولو كانت دموع تفضح حبها أمام

القادمـين والمغادريـن فهـي دائمًـا مـا تفخـر بـكل مشـاعر الحنـين إليـه الظاهـرة والباطنـة.

لـم تجـد حواليهـا إلا ابتسـامته في خيالاتهـا وجموع القادمين مغادرين المـكان مـع أحبتهـم والمسـافرون يودعـون أحبتهـم، عاشـت تلـك اللحظـة وكأنهـا الدهـر كلـه لا تـدري مـاذا هنـاك قـد منعـه مـن أن يلبـي دقـات قلبهـا المتلهفـة للقـاء وأنفاسـها المشـتاقة إلـى كلماتـه.

ألقـت بجسـدها علـى المنضـدة ومشـاعرها مـا زالـت واقفـة تبحـث عنـه في المطـار، وهـي علـى هـذا الحـال لاحظـت طفلـة بسـيطة في ثيـاب رثـة تقـف هنـاك سـاكنة زائغـة العينـين تبحـث هـي الأخـرى عـن شـيء مـا ولا تجـده، لـم تسـتطع أن تبـرح مكانهـا لتسـألها مـا بهـا فقـد التصقـت مشـاعرها بالمنضـدة بعـد أن فشـلت أن تجـد لـه أثـرًا، ولكنهـا تنفسـت الصعـداء بمجـرد أن شـعرت أن هنـاك شـخص مـا يشـاركها لحظـة فشـل الانتظـار والبحـث عـن شـيء مـا قـد لا يجيـئ، نظـرت إلـى الفتـاة نظـرة حانيـة. لاحظتهـا الفتـاة وابتسـمت لهـا عـن بعـد فلوحـت لهـا بصحبـة الـورد التـي بـين يديهـا.

شـعرت بغصـة في قلبهـا وأغمضـت عينيهـا علـى ذكريـات مشـاعرها الحانيـة وفتحـت يديهـا عـن صحبـة الـورود لتضعهـا

على أقرب منضدة ملقية بجانبها أنفاسها الثائرة، انتظرت وما زالت عيناها معلقة على أمل قد يأتي متبخترًا من هناك، ولكن لم يأتِ الأمل.

نهضت وحبات دموع حنين الحب تتدحرج على شواطئ وجنتيها ونادت على الفتاة لتهديها صحبة الورود وتركت وراءها المنضدة ووسطها خيبة الانتظار في لقاء من تحب ومشت تائهة بين قدميها. تهلل وجه الفتاة وتورد ورقصت فرحًا وشكرتها على الورود الجميلة الغالية. ابتسمت لفرحة الفتاة وتركتها تتفحص الورود بنهم وشغف وكأنها تقرأ خطاب تعيينها في وظيفة مهمة غير مصدقة عيناها.

وهي على وشك الخروج من صالة المطار نظرت وراءها لتلقي نظرة أخيرة على أمل اللقاء الضائع لتفاجأ به قادمًا ونسائم الهوى تهب من ملامحه الطيبة ممسكًا بوردة يشتريها من نفس الفتاة التي أمسكت صحبة الورود بفرحة لتبيعها للقادمين والمنتظرين.

جرت نحوه والبسمة تملأ المكان والزمان وجرى نحوها ووردة اللقاء تسبقه إلى يديها، احتضنها واحتضنته وتلامست المشاعر، نظرت إلى صحبة ورودها في يد

الفتاة البائعة هامسة إليه وعينيها على الفتاة: ما أحلى وردتك حبيبي فعليها أنفاسي! هي وردتي وفيها صحبتي.

نظرت إليها الفتاة نظرة مملوءة بدعاء الحياة وابتسمت ابتسامة أنعشت الورود التي بين يديها.

تشابكت أناملها مع أنامله ومضيا يتذوقان حلو اللقاء، والفتاة ما زالت هناك تتذوق حلو العناء في بيع الورود.

●●●

فنجان الحب الأول

«وكما الهواء في الفضاء طبقات ، فهوي المشاعر طبقات ، وتعلوا المشاعر حتي تصير بلا جاذبية فتهيم كيفما تشاء ..»

بعد أن تناسى جرح الحب الأول الذي نام في صدره واستيقظ في عقله، لم يصدق نفسه والحب الجديد يتبختر قادمًا إليه، لمعت عيناه بالأمل وهي تبتسم له على استحياء وبحياء، ملأت وجهه ابتسامة ضاحكة على شفتيه تخلل شذاها كل خلية في جسده حتى سمع صدى فرحتها في قلبه، لما شاهدت حبه لها يعلن عن كل هذا العرس ويغني في عينيه تأبطت ذراعه بكلتا ذراعيها، فشعر وكأن العالم يتدحرج بين يديه.

ابتسم وابتسمت، مالت عليه ومال عليها، نظرت إليه ونظر إليها، شعر وكأن حب العذارى تجمع في نظراتها فصارت له أميرة العشق وهو العاشق الطائر وهي العش.

ومشت تتبختر مغردة ومشى يتهادى والأرض تمشي الهوينة تحت قدميه حتى وصلا إلى كافيه عش الأحبة، قادته قدماه إلى نفس الركن البعيد الذي طالما شهد مع حبه الأول معارك العشق والخصام والهجر والدلال.

شعر برعشة تسري في يديه ورجفة تعشش في صدره فقد اكتشف أنه نسي قلبه هناك وأتى هنا بقدميه دون أن يدري.

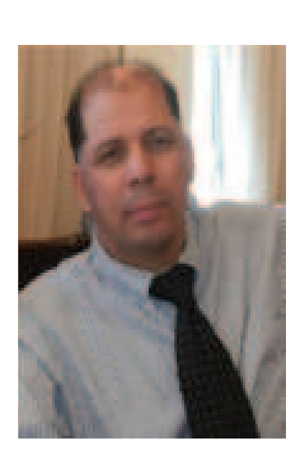
شعرت هي بالخدر في ذراعيه فسحبت يديها من يده وأجلسته بابتسامة راقية وطلبت النادل وتركت له عش الأحبة حتى يفيق من سكرة حبه الأول التي حلت عليه فجأة فبعثت مشاعره من مرقدها، حبه الأول الذي طالما حكى لها عنه.

ولما أفاق وجد نفسه وحده وأمامه فنجانين من قهوة الحب، فما زال النادل يتذكر قهوته وقهوة حبه الأول....

ابتسم وانتشى وغنى في نفسه لحبه الأول...

●●●

عن المؤلف:



د. محمد لبيب سالم أستاذ جامعي وباحث في علم المناعة والأورام ومؤلف وكاتب وتمثل رواية «وقت للبيع» أولى رواياته الصادرة من دار أطلس للنشر والطباعة والتي تم عرضها في المعرض الدولي للكتاب والعديد من المعارض بمصر والدول العربية في المغرب والسعودية والإمارات، وقد نشر العديد من المقالات في الجرائد والمجلات المصرية والعربية مثل العلم، العربي، الفيصل، روزاليوسف، العالم اليوم ومنظمة المجتمع العلمي العربي بالإضافة إلى المواقع العربية مثل مجتمع بناة وموضوع.

د. لبيب حاصل على بكالوريوس العلوم عام ١٩٨٤، وماجستير العلوم في ١٩٨٩، ودكتوراة العلوم في ١٩٩٥. وقد مُنح د. لبيب جائزة الدولة التشجيعية لعام ٢٠٠٤ وجائزة الدولة للتفوق لعام ٢٠١٠ وجائزة جامعة طنطا التقديرية لعام ٢٠١٥. وله أكثر من ١٠٠ مؤلف علمي منشورة بالدوريات العلمية وعضو في هيئة

التحرير للعديد من الدوريات العلمية ومستشار لكتابات تبسيط العلوم لمنظمة المجتمع العلمي العربي، واستقر د. لبيب في فوكوكا باليابان كباحث لمدة خمسة أعوام في الفترة من ١٩٩٢-١٩٩٤ ثم من ١٩٩٧ - ٢٠٠١. وفي مدينة تشارلستون بأمريكا من ٢٠٠١ - ٢٠١٠ كأستاذ جامعي وباحث، كما أنه زار العديد من الدول مثل الصين، كندا، إيطاليا، ماليزيا، كوريا الجنوبية، السعودية، الأردن، الإمارات. وقد أثرت هذه السفريات وكذلك طبيعة العمل كباحث في أسلوب كتاباته الأدبية التي تتسم بالتحليل وربط الظواهر البيولوجية بالأمور الحياتية مع إضفاء الخيال الأدبي لإظهار الواقع بحس أدبي رفيع.

e-mail:mohamedlabibsalem@yahoo.com

القصص	الصفحة



الحب أكبر اكتشاف للبشرية.

فهو حالة من الرقة وصفاء القلب ورقي وسمو الروح.

وقد يولد الحب في لحظة ما وفي مكان ما وعند عمر ما وبدون قصد؛ فالحب لا يعرف زمانًا ولا مكانًا ولا عمرًا.

فعندما تظهر أعراض الحب لابد أن يتشبث بها القلب ليصبح قلبًا فوق العادة. قلبًا يتحمل ولا ينثني.

سوف يجد القارئ في هذه المجموعة القصصية الحب في كل صوره. الذي قد يتولد فجأة ودون سابق إنذار. مع عابر سبيل. أو في أول الطريق أو في آخر الطريق.

وسوف يجد القارئ كيف أننا قد نكتشف المحب صدفة أو بعد حين. المجموعة القصصية دعوة عامة للبحث عن الحب في الذات وفي الآخر. البحث عن الحب في كل زمان ومكان وكل عمر. دعوة لاكتشاف الحب بعيون المحب وقلب العاشق. فعندما يعيش الحب ويسمو يصير عشقًا ملآن بالشوق.

والإعلان عن الحب قوة من بعد ضعف.

فالحب في أرقى صوره من العشق هو نصف الرجولة وكل الأنوثة.





تصميم الغلاف/ريم السخاوي